467

HARLEQUIN

روايات أحلام

أريد قلبك !

ريبيكا وينترز

www.elromancia.com

مرمورية

أريد قلبك!

- هل ما زلت تفتشين عن زوج على شاطئ الريفييرا يا أوليفيا!

- كان هذا ممكناً لو لم تخربوا رحلتنا. ويجب أن تصلحوا الأمر الآن... من يعلم، ربما أتعرف إلى شاب جذاب صالح للزواج! لكن عندما يكتشف أخوك أنني ذهبت لقضاء إجازة معك، سوف يتخلى عن أي فكرة بالزواج مني.

فقال لوك بغموض: "لماذا تظنين ذلك؟".

مرة أخرى، تحمل أوليفيا طبيعتها المتهورة على الاندفاع قبل التفكير.

لكن الأمر جاد الآن، أكثر جداً من وجودها نفسه. كان لوك هو الذي تحبه، ومن كل قلبها. وكلما طال صمته، أدركت أنها إذا لم تعطه الجواب الصحيح، قد تخسره إلى الأبد.

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Books S.A

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Books S.A

العلامة التجارية Harlequin وشعار Joey هما ملك شركة Harlequin Books S.A
وهما مستعملان هنا بترخيص منها

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
to win his heart
First Puplished In Great Britain 2004
Harlequin Mills & Boon Limited
©Rebecca Winters 2004
Translation © Dar El-Farasha - 2010
ISBN 978 - 9953 - 15 - 484 - 8

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 450950 - 453115 -1-0961 - بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومنسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيّقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

www.elromancia.com

ريبيكا وينترز

أم لأربعة أولاد، ومعلمة سابقة.

تركت مهنة التدريس حيث كانت تدرس اللغتين الفرنسية والإسبانية. أصبحت اليوم قادرة على تمضية المزيد من الوقت مع أسرتها، والقيام بالأسفار وكتابة الروايات لـ «ميلز أند بونز». تلك الروايات التي تحبها كثيراً.

يمكنكم زيارة موقعها على الإنترنت:
http: www. rebecca winters-author.com

١ خطة جديدة

الثاني من آب، «مونزا» - إيطاليا.

- ليلة سعيدة سيزار. لقد أمضيت وقتاً رائعاً.

بعد أن انتهت حفلة سيزار في الطابق السفلي مع فريق السباق، رافق أوليفيا إلى غرفتها في الفندق لكنها انزعجت حين طوق عنقها أمام الباب.

كان سيزار دي فالكون، المعروف باسم سيزار ويلون، يفيض تألقاً وإثارة وجاذبية. لكن مهنته كانت هي ما تستحوذ على مشاعره وهكذا يحول دون حمله على محمل الجد، كما أنّ أوليفيا لم توحِ له بأن ما بينهما يتعدّى الصداقة. هذا غير ممكن فهي غارقة في حب أخيه الأكبر، لوسيان دي فالكون.

أما حقيقة أن هذا الحب ليس متبادلاً فهي غير مهمة. وبما أن عواطفها مأسورة في مكان آخر، لم تستطع أن تلهو مع سيزار لمجرد اللّهو.

عندما جاءت إلى أوروبا مع شقيقتيها في شهر حزيران، كان حلم أوليفيا الأكبر هو حضور سباق «موناكو» الكبير الذي احتل فيه سيزار ويلون الأسطورة المركز الثاني.

من حسن الحظ أن ماكس، إبن خالة سيزار، تزوّج إحدى شقيقتي أوليفيا، ما جمع أسرتيهما معاً في ظروف لم تكن متوقعة.

وبما أن سباق السيارات يفتنها حتى قبل تعرفها إلى سيزار،

www.elromancia.com

امتلأت بهجة وسروراً حين أظهر سائق سيارة السباق الشهير لهفة ليأخذها بجولة في سيارته.

كم من مرة يمكن للمرء أن يرى مباشرة ما يحدث خلف المقود؟ خصوصاً مع سائق مشهور؟

- لدي المزيد من الوقت الرائع يا جميلتي، بما أننا وحدنا.

أشاحت بوجهها عنه وردت: «لديك سباق كبير غداً ما يجعلك بحاجة إلى النوم طويلاً».

- النوم؟ أنوي النوم لكن ليس وحدي.

كان سيزار رجلاً جذاباً، لكنها ابتعدت عنه قبل أن يحاول تقبيلها. وأدركت، من الدهشة التي بدت على وجهه، أن النساء اللاتي قاومنه قليلات للغاية.

- ألن تدعيني للدخول؟

وألقى عليها نظرة جريحة تماثل تماماً نظرة ماكس صهرها الإيطالي فابتسمت. عليها أن تواجه هذا الموقف بكياسة ولباقة لأنه ابن خالة زوج شقيقتها غرير. لهذا، لا تستطيع أن تجرح مشاعره برفضها له، فلا تراه مرة أخرى في حياتها.

وقالت متمهلة: « لا. لن أدعوك للدخول فأنا أنام وحدي دوماً».

- دوماً؟

- دوماً.

- ولكن هذا لا يصدّق.

إنفجرت أوليفيا ضاحكة وقالت: «تعلمنا، أنا وشقيقتاي، أن ننتظر حتى نتزوج».

- أتريدين أن تخبريني أن غرير وماكس...

فأنهت جملته: «لم يفعلا شيئاً قبل ليلة زفافهما».

وجاء دوره ليضحك: «لقد كذبت عليك».

فهزت أوليفا رأسها: « لا. وأراهن بحياتي على ذلك».

وعندما رأت أنه لم يقتنع، أردفت: «عندما يعودان من شهر العسل، أسأل ماكس فيخبرك بالحقيقة».

أمسك بذراعها قائلاً: «بعد كل سباق، أمضي أسبوعاً في فيلا الأسرة على الشاطئ حيث أكون وحدي. لكني هذه المرة سآخذك معي للاحتفال بالنصر. وهذا إنذار».

لا. يا سيزار، لن أذهب معك إلى أي مكان. هذا ما فكرت فيه من دون أن تنطق به فللرجل عنفوانه الذي يجعله يظن أن أيه امرأة أخرى ستقفز فرحاً لهذه الفرصة إنما أوليفيا ليست واحدة من أولئك النساء.

- عليك أولاً أن تكون زوجي لأذهب معك.

فقال باسماً: «علينا إذن أن نحصل على خاتم أثناء وجودنا في الفيلا في «بوزيتانو» ».

- أنت تحب المزاح سيزار، لكنك تعجبني. سأراك غداً. والآن تصبح على خير وحظاً سعيداً.

وتملصت من بين ذراعيه ثم اندفعت إلى غرفتها.

رغم أنه الرجل المثالي الذي ترغب فيه معظم النساء، إلا أنه لم يكن الرجل الذي يشغل فكر أوليفيا منذ أن عادت إلى وطنها مع أختيها للاستعداد لعرس غرير.

لم تكن تريد سوى عناق رجل معيّن. وانحبست أنفاسها لطول انتظارها كي ترى لوك مرة أخرى في حفل الزفاف لكنه خذلها منذ اللحظات الأولى لاجتماعهما قائلاً: «قد تنجحين في الإيقاع برجل

بريء يا أوليفيا لكنني أفهمك تماماً. أنت لست سوى امرأة تتبع هواها».

- أحقاً؟ حسناً، هذا يجعلك الأخ الأكبر الغيور الأعرج. ولا بد أن ما يغيظك هو علمك أنك عاجز عن أن تصعد إلى سيارة سيزار، فكيف بأن تقودها!

مازال جسدها يقشعر كلما تذكرت الكلمات القبيحة التي تبادلاها... حتى أن الوقاحة بلغت به حدّ تشبيهها بإحدى أولائك النسوة الانتهازيات اللاتي يسعين خلف ملذاتهن، ويلقين بأنفسهن على الأغنياء المشهورين مثل سيزار.

أغضبها لوك للغاية. لقد سرّها أن تقبل دعوة سيزار لتتابع سباق السيارات. لكن سيزار أساء فهم موافقتها وافترض أنها أصبحت ملكاً له يأخذها متى يشاء.

هذا كله ذنب لوك. مجرد التفكير في المواجهة الغاضبة بينهما أمام الكنيسة سبّب لقلبها الألم. لو لم يوجّه إليها تلك الإهانة لما تهورت بهذا الشكل.

كان لوك على عكس أخيه، لا يرغب في الشهرة ولا يسعى إليها ما زاد من رغبتها فيه. ورغم أنها وجدت عزلته عن الناس مزعجة، إلا أن ما فتنها فيه هو أنه بدا وكأنه لا يحتاج أي شخص آخر.

كانت طاقة لوك متأتية بحسب سيزار من عمله كمهندس. أرادت تريد أن تعرف كل شيء عنه لكن سيزار كان يلوذ دائماً بالصمت عند الحديث عن تفاصيل حياة لوك، الشخصية منها والعملية.

كل ما تعرفه هو أن لوك أوشك أن يفقد ساقه منذ سبعة أشهر على أثر حادث مأساوي أدى إلى مقتل خطيبة ابن خالته نيك.

وكانت أوليفيا قد علمت من أختها غرير أن لوك لم يتزوج قط.

من المؤكد أن السبب لا يعود إلى انعدام الفرص فعيناه الرماديتان تحت حاجبيه وشعره السود، شديدتا الروعة والغرابة أيضاً لأنهما تتناقضان مع لون بشرته الأسمر.

مرة واحدة فقط رأته يبتسم فحدثت نفسها بأنها لم تر قط من قبل ابتسامة بهذه الروعة.

لكن بعد شجارهما المرّ، تخلّت عن الأمل في أن ترى تلك الابتسامة النادرة مرة أخرى.

خيّل إليها أن للألم الناجم عن إصابة ساقه، دوراً في اكتئاب مزاجه هذا.

على أيّ حال، خطر لها أن كآبته تلك ناتجة عن مشاكل أعمق من مشاكل الجسد.

لا بد أن الأمر يتعلق بامرأة. وأياً كانت تلك المرأة فقد أفلحت في تدميره.

كان رجال آل فالكون شديدي الوسامة، بقاماتهم الفارعة وبشراتهم السمراء وحيويتهم التي لا يمكن مقاومتها... وإذا شاء لوك، فيمكنه أن يحظى بأجمل النساء. لكن يبدو أن ذهنه مشغول بأمور أخرى، وهو أكثر ذكاء وثقة بالنفس من أن يحتاج إلى اهتمام الجنس الآخر الدائم.

لم يرغب في لفت انتباهها ما جرحها بشكل لم تعرفه من قبل، ومازال الجرح يؤلمها. وكلما فكرت في الأمر، كلما ازداد رفضها لملاحظاته اللاذعة. شقيق سيزار، المنعزل المنهك، والبالغ من العمر ثلاثة وثلاثين عاماً أساء الحكم عليها، وستثبت له ذلك!

سوّت وسادتها وعادت للاستلقاء على السرير راجية أن تنام،

خائفة من عدم تمكّنها من ذلك.

* * *

- ألن تذهب لرؤية سباق أخيك في الصباح؟

- لا يا أمي. يريد الطبيب أن يسحب الماء من ركبتي بعد غد، وعليّ أن أريحها قليلاً حتى ذلك الحين.

سرّها أن يملك هذا العذر المنطقي الذي ستنقله لأبيه وأخيه سيزار.

- انتبه لنفسك يا ولدي. سآتي بعد أيام لأطمئن عليك.

- هذا ليس ضرورياً فسآتي أنا لأراك.

إذا صح تشخيص الطبيب ، فإن ساقه الآن في آخر مرحلة للشفاء. هذه هي بداية النهاية لسبعة أشهر مروّعة من الألم الجسدي لكنه تمنى لو يستطيع أن يقول الكلام نفسه عن عذابه النفسي، إنما ما من دواء لهذا.

- سأتحدث إليك قريباً، يا أمي.

وجلس على كرسيه الدوار خلف مكتبه، وهو يحدّق بعينين لا تريان، في الشاشة أمامه.

يتطلب عمله عادة أن يتخلّص من أفكاره المظلمة لكنه عجز عن ذلك الليلة فصورة أوليفيا داتشس في سرير أخيه جعلته يشعر بالمرارة.

تناول هاتفه الخلوي وطلب رقماً. وبعد برهة رفع ابن خالته السماعة: « لوك؟ خطر لي أن يكون المتصل أنت».

- من غيري يزعجك في هذا الوقت من الليل؟ هل كنت في السرير؟

- لا، أنا في مكتبي أعمل على هذا المخطوط اللعين.

- كنت على وشك أن أسألك كيف يجري العمل عليه.

كان نيك يواجه جهنمه الخاصة منذ موت نينا.

فبالإضافة إلى حزنه بسبب الحادث كان يعاني من الشعور بالذنب إذ فسخ خطبتهما قبل ساعة من ركوبها آخر ترام من دونه.

لن يعرف لوك قط ما إذا كان نيك قد اكتشف أنها تخونه ولهذا السبب ألغى الزفاف. وعلى الرغم من علاقة الرجلين الوثيقة، إلا أن نيك لم يشر ولو لمرة واحدة إلى أن نينا كانت تواعد رجلاً آخر، لكن لوك يعلم ذلك.

كان قد تأخر في ممارسة رياضة التزلج ذلك النهار. وعندما خرج من الكوخ طالعه مشهد مزّق كيانه. رأى بين الأشجار رجلاً غريباً ذا شعر أشقر كثيف يقبل نينا وتجاوبت هي معه تماماً قبل أن تبتعد عنه وتسرع إلى الترام المتوجّه إلى الجبل.

وبما أنّ لوك يحب نيك كأخيه نوى أن يواجهها بالأمر فلحق بها وصعد الترام معها. لكن قبل أن يجد الفرصة ليتحدث إليها على حدة، حدثت الكارثة التي قتلتها وآذته. وأثناء الأحاديث الطويلة التي دارت في المستشفى حيث خضع لوك لعمليات جراحية عدة، اعترف نيك بأنه لم يكن يحب نينا كما يفترض به أن يفعل وقد وافق على الخطوبة بضغط من والديه. وعندما تقرر موعد الزواج، أدرك أنه لا يستطيع الزواج منها.

لم يدهش اعترافه هذا لوك أو ماكس فنيك لم يتصرف يوماً كرجل غارق في الحب، لكن ما دام لم ينطق بكلمة عن خيانة نينا، قرر لوك ألا يعلم ابن خالته بشيء.

وبعد أن ناقش الأمر مع ماكس، قرر أنه من الأفضل أن يبقى نيك على جهله ما دام كشف الحقيقة لن يفيده بشيء. فنينا ماتت

www.elromancia.com

ولا داعي لأن يجعلا الأمر أكثر بشاعة.

كان لوك يعرف شعور من يخونه شريكه خصوصاً مع أخيه، وهو شعور لا يتمناه لأسوأ أعدائه، فكيف يقبل به لنيك من بين كل الناس؟

* * *

أخذ آلاف المشاهدين يصرخون عندما أعلن المذيع أن سيزار فيلون، هو الفائز بسباق «مونزا».

كانت أوليفيا قد وصلت باكراً للتفرج على السباق فوقفت على قدميها تصفق وتهتف مثل غيرها من المتفرجين.

أملت أن يكون قد نسي ما قاله عن أخذها معه لاحقاً، لكنها على أي حال، قررت أن تترك «مونزا» بحيث لا يجدها عند انتهاء النهار، ما يعطيه انطباعاً سيئاً آخر عنها.

وبما أنه الابن الأصغر للدوق دو فالكون فمن غير المستغرب أن يفترض أن ما من امرأة ترفضه. لم تحاول أن تقترب منه بعد انتهاء السباق، وما كانت لتستطيع لو شاءت ذلك، بسبب الازدحام.

في صباح الغد، ستغطي صوره التي يعانق فيها الجميلة تلو الأخرى الصفحات الأولى لآلاف الصحف والمجلات.

أما أوليفيا فلم يعجبها هذا المشهد كله. وشعرت بالنفور وهي ترى النسوة يتعاركن للاقتراب منه، وكل واحدة منهن ترجو أن تكون المرأة التي سيختارها، من دون أن يعرفن أن أوليفيا هي هدفه المنشود.

أدركت أوليفيا أن أي امرأة يدفعها سوء حظها للوقوع في حب رجل مشهور، عليها أن تتحمل نزوات حبيبها.

ووقفت تحدق في سيزار بعينين لا تريان، فتحوّلت الفكرة التي خطرت في بالها الليلة الماضية إلى خطة متكاملة. فنزلت عن المنصة حيث تجلس وشقت طريقها بين الجموع من دون تردد، حتى وصلت إلى موقف سيارات الأجرة.

- إلى فندق «أكاديميا».

- نعم سيدتي.

ستتصل من غرفتها بأختها بايبر الموجودة حالياً في جنوى في رحلة عمل. كان من المفترض أن ترافقها أوليفيا لتتخذا القرار المناسب قبل أن تستقلا الطائرة معاً إلى نيويورك، لكنها غيّرت رأيها في مغادرة أوروبا حالياً، وهي تثق برأي بايبر تماماً.

لن توافق أختها على خطتها للحاق بلوك، كما لن تفعل غرير. ولكنها لحسن الحظ ليست موجودة لكي تعارضها فهي تقضي شهر العسل مع ماكس.

كان التفريق بين التوائم الثلاث يحتاج إلى رجل غير عادي. ثلاث فتيات شقراوات متشابهات شكلاً إنما ليس مزاجاً وطبعاً.

كان ماكس قد ألقى نظرة واحدة على غرير بعينيها البنفسجيتين وإذا به يهوي صريعاً. وكانت أوليفيا تعلم أنه لن يشفى أبداً.

نظرة الشغف والرغبة التي بدت في عيني ماكس وهو يقبّل عروسه عند المذبح، كشفت للعالم أجمع عن شعوره نحوها!

مع زواج غرير، تغير عالم أوليفيا وتعاظم شعورها بالحرية. مع غياب غرير التي اعتادت أن تفرض عليها طريقة تفكيرها أصبحت أوليفيا سيدة مصيرها.

لم يكن هذا يعني أنها لا تحب غرير لا بل على العكس، فهي شغوف بها. ومع ذلك، شعرت بالراحة لأنها لن تضطر لمواجهتها

وسماعها تقول إنها حذّرتها من الخروج مع سيزار.

شعور لوك بالكراهية والنفور نحوها هو الذي جعلها تتصرف بهذا الشكل. واحمرت وجنتاها وهي تدرك أنها فعلت ذاك الشيء الغبي الذي حذرتها غرير منه حالما سافرت هذه الأخيرة.

في الواقع، كانت غرير هي التي علّقت على علاقة أوليفيا بفريد مشيرة إلى أنها غير مغرمة به. لكن أوليفيا بقيت تخرج مع فريد لتثبت أن سلطة غرير عليها ليست مطلقة.

إلّا أنها أرغمت نفسها في نهاية الأمر على أن تخبر فريد بأن علاقتهما انتهت. لكن ما استاءت منه أوليفيا حقاً، هو أنها ما زالت تقاوم تأثير أختها القوي عليها رغم زواجها وسفرها بعيداً.

ناداها السائق من فوق كتفه: «سنيوريتا».

كانا قد وصلا إلى الفندق من دون أن تلاحظ ذلك لشدة استغراقها في وضع خطتها الجديدة.

وبعد أن دفعت الأجرة، نزلت من السيارة واندفعت داخلة إلى الفندق متلهفة للعمل.

بعد أن حجزت تذكرة للسفر إلى نيس، اتصلت بأختها بايبر في فندقها في جنوى لتخبرها بما صممت عليه.

- أنت ماذا؟

بدا التشكيك في صوت أختها كما تفعل غرير عادة ما صدم أوليفيا.

- أنا عائدة إلى موناكو لأرغم لوك على ردّ ما عليه من دين.

- كرري ما قلته مرة أخرى.

- لقد سمعتني. في رحلتنا الأولى إلى أوروبا اتهمنا ماكس وابنا خالتيه بأننا لصوص مجوهرات فدمروا مشاريعنا. إن لوك

مدين لي بعشرة أيام على المركب.

- إنه مركب «فابيو موريتي»، والصيف لا يزال في ذروته. لعل بعض السياح الجدد استأجروه. ولا تنسي أن «موريتي» يعتاش منه.

- أنا واثقة من أن بإمكان لوك أن يحل المسألة. لقد دفعت كل واحدة منا ثلاثة آلاف دولار من أجل رحلة لم نقم بها قط.

- أنت على حق أوليفيا. لكننا، وبدلاً من ذلك، حصلنا على صهر الأحلام الذي عاملنا بشكل رائع وجعلنا نقيم في قصر أسرته. وهذا أفضل من أي إجازة يمكنني التفكير فيها. ولكن ما الذي تشكين منه؟ لقد تحقق حلمك عندما اختطفك سيزار إلى «مونزا» في الأيام الثلاثة الأخيرة.

- سيزار مجرد صديق. كما أنه «مخطوب».

- لمن؟

- لكل نساء أوروبا.

- نعم. كانت غرير قد قالت لك ذلك.

صرفت أوليفيا بأسنانها: «غرير لا تعرف كل شيء».

- بل تعرف.

- إنها لا تعرف أننا أقنعنا والدنا بأن يخصص ذلك المبلغ لزواجنا، المبلغ الذي أحضرنا أو كان سبب حضورنا إلى أوروبا.

وبعد لحظات من الصمت قالت بايبر: «هذا صحيح. لعله الأمر الوحيد الذي أخفيناه عنها».

بدت على وجه أوليفيا إبتسامة رضا: «نعم وقد نجحنا. جعلناها تتزوج أخيراً وأصبح بإمكاننا أن نفعل ما نريد، وأنا أريد أن أمضي العطلة كما خططنا. ماذا عنك أنت؟»

- ربما يوماً ما. أما الآن فعلينا أن ننهي العمل.

www.elromancia.com

- أنت تتحدثين كغرير تماماً!

كانت غرير هي التوأم الأكبر بدقائق وأوليفيا هي الصغرى، بينما بايبر هي الوسطى. وكانت غرير قائدتهما على مدى السنين فهي التي تتخذ كافة القرارات، سواء أعجبت أوليفيا وبايبر أم لا. الآن، أصبح بإمكان أوليفيا ولأول مرة أن تفعل ما تريد من دون انتظار رأي غرير.

- بما أن غرير غائبة، لابد لشخص ما أن يتحدث إليك بشكل منطقي. ما السبب الحقيقي الذي يجعلك ترغبين في البقاء؟ بدوتما، أنت ولوك، أشبه بعدوين لدودين بعد حفل الزفاف ولا أفهم كيف تجرؤين على مواجهته مرة أخرى... لا ... أخبريني أن هذا غير صحيح.

- ماذا تعنين؟

- أخبريني أنك لم تقعي في غرام لوك دي فلكون...

التهبت وجنتا اوليفيا ولم تجب. وعادت أختها تقول: «أوليفيا لايمكنك هذا!»

- ماذا تعنين بأنه لا يمكنني ذلك؟

- فكري في غرير.

- هذا ما فعلته طيلة حياتي. علينا أن نفعل كل شيء بحسب رأيها... لأنها المسؤولة. والآن بعد أن تزوجت، أريد أن أفكر في نفسي على سبيل التغيير.

- عليك أن تعاودي التفكير لأن لوك هو ابن خالة ماكس.

- وإن يكن!

- بما أن غرير تزوجت ماكس فقد أصبح لوك من أقربائها هو أيضاً. لهذا، لا يمكنك أن تتطفلي عليهما.

- لم أفهم.

- لقد وجدت حب حياتها في ماكس يا أوليفيا. هذا هو عالمها الآن، وعلينا أن نتركها وحدها.

فردت أوليفيا بحدة: «إنها بلاد حرّة».

- كلا. إنها ليست كذلك، وأنت تعلمين ما أعنيه.

كانت أوليفيا تعلم لكنها لم ترغب في أن تذكرها بايبر بذلك.

وتابعت بايبر تقول: «غرير بحاجة إلى وقت لتؤسس حياة جديدة مع ماكس. علينا أن نساعدها بأن نتوارى بعيداً لنمنحها مجالاً».

- لوك يعيش في «موناكو» وليس في إيطاليا.

- إنهم متقاربون للغاية. كما لا يناسبك أن تتورطي مع لوك حتى لو أراد هو ذلك، علماً أنه... لا يريد.

انتبهت أوليفيا لتردد أختها فسألتها: «وما أدراك بذلك؟»

- لأن... أنا أعرف فقط.

صرخت أوليفيا بها: «ما الذي تعرفينه ولا أعرفه أنا؟».

- إنه كلام لا تريدين سماعه؟

- وكيف ذلك؟

- لأنه قد يؤلمك.

يؤلمها؟ وسألتها: « أتعنين أنك لا تريدين أن تخبريني؟»

-لا. وعدت شخصاً ما بألّا أفعل.

وسكتت بايبر فقالت أوليفيا وهي تنزل عن سريرها: «فهمت. في هذه الحالة، أنا أنوي أن أتابع طريقي وكأنك لم تنذريني. سأجعله يغير رأيه».

- ستكونين كمن يلعب بالنار.

- إنها مشكلتي أنا، أليس كذلك؟

www.elromancia.com

- لا تصرخي بي هكذا أوليفيا. أعلم أنك تشعرين بالضياع بدون غرير مثلي تماماً. لكنك لاتريدين الاعتراف بذلك.

أرجعت أوليفيا رأسها إلى الخلف: «أعترف بأنني أشعر بالغرابة لكننا سنعتاد على ذلك».

- إلى أن نعتاد على ذلك، عودي معي إلى الوطن، أرجوك.

- ليس الآن، يا بايبر.

- أصغي إلي. لا تختلطي برجل مثل لوك فتربيته تختلف عن تربية أي شخص عرفته أنت. كما أنه مميّز عن سواه لأنه الذكر الوحيد الذي لم يقع تحت تأثير سحرك. لا يمكنك أن تفوزي بهم جميعاً يا أوليفيا. ثقي بكلامي هذا.

- هل انتهيت يا غرير؟

- لا أريد أن تعاني من الألم. يكفينا فقدان والدنا.

عند ذكر والدهن الذي توفي في شهر نيسان، قالت أوليفيا: «لا أنوي العيش في حزن دائم. خطتي هي أخذ الأمور ببساطة».

ساد صمت طويل قالت بايبر بعده: «ما الذي تنوين فعله بالضبط؟»

- أن أجعله يطلب مني الزواج.

- لوك يعرف قصة المال المخصص للزواج ولن يتأثر.

- بل سيتأثر. إنه يظنني مهتمة بسيزار وسيقفز فرحاً إذا ساعده الحظ على أن ينقذ أخاه من مصير أسوأ من الموت. وبينما نحن نستمتع بأشعة الشمس، سأجد طريقة أسلب بها قلبه بحيث يعجز عن مقاومتي. وعندما يرسو المركب في «فيرنازا»، يكون قد طلب يدي للزواج.

- لن تتمكني من أن تهزميه أبداً يا أوليفيا.

اشتدت يد أوليفيا على السماعة: «أتراهنين على ذلك؟»

سكتت بايبر لحظة ثم قالت: «ستندمين طوال حياتك على هذا».

بدا صوت بايبر كصوت غرير وهي تتابع: «تعالي معي إلى الوطن وسنبحث لك عن رجل أميركي جيد تخرجين معه».

- لقد قابلت الرجل الذي أريد أن أتزوجه يا بايبر، فلا تحاولي أن تقنعيني بتركه.

- أنت تظنين أنه قد آذاك الآن. ولكن انتظري لتري.

رفضت أوليفيا أن تدع السرّ الذي تعرفه بايبر عن لوك يؤثر فيها، وقالت: «سوف نرى».

- على أيّ حال، اتصلي بي غداً. عليّ أن أعرف مكانك، وأين يمكن أن أجدك وإلا لن أعرف السكينة.

- أعدك بأن أتصل.

بعد أن وضعت أوليفيا السماعة، جلست لتكتب رسالة إلى سيزار. كان عليها أن تختار كلماتها بعناية.

وبعد أن شرحت له أن قلبها ملك شخص آخر، شكرته على الوقت الرائع الذي أمضته معه وعلى لطفه وكرمه. وختمت بأنها ستبقى صديقته دوماً. بعدئذ، وضعت الرسالة في مغلف ونزلت السلم لتسلمها إلى البوّاب قائلة له: «لا أدري متى سيأتي السيد فيلون إلى الفندق. ولكن هل لك أن تسلمه هذه الرسالة حال قدومه؟».

واستقلت سيارة الليموزين المخصصة لنقل زبائن الفندق إلى المطار، آملة أن تتمكن من تجنّب الحشود.

عند وصولها إلى نيس، ستستقل سيارة أجرة إلى فيلا «فالكون»

www.elromancia.com

في «موناكو» لتفاجئ لوك.

إذا أرادت لخطتها أن تنجح، فلا بد من أن تفاجئه على حين غرة. وإلا فسيتوارى، وهذا ما لا تريده.

٢ - المكيدة

- انتظرني من فضلك.

أومأ سائق سيارة الأجرة بينما تقدمت أوليفيا من باب الفيلا. كانت الساعة السابعة والنصف من مساء شهر آب الشديد الحرارة.

فتحت خادمة الباب، فسألتها أوليفيا إن كان بإمكانها أن ترى لوك، فردّت الخادمة أنه لا يعيش مع والديه. عندئذ، تذكرت أن لوك ادّعى العكس!

تملكها الاستياء من اكتشاف كذبه، وسألت عن عنوانه فكتبته الخادمة لها. شكرتها أوليفيا ثم أعطت العنوان للسائق الذي قادها إلى منطقة تطل على المدينة.

وبعد دقائق، سارت السيارة في طريق خاص انتهى إلى باحة خلاّبة مزينة بكافة أنواع الورود والأزهار. ورأت فيلا رائعة ذات لون وردي باهت بينما طليت مصاريع النوافذ بلون خفيف الزرقة.

كانت الفيلا قائمة على تلة تطل على مدينة «موناكو». لا بد أن المنظر رائع للغاية!

أملت أن يكون لوك في بيته لكنها لن تتأكد قبل أن تقرع جرس الباب. وبعزم لم تعرفه في حياتها، صعدت إلى المدخل الخلفي حاملة حقيبة ملابسها وهي ترجو أن تجده في المنزل.

قرعت الجرس وقلبها يخفق ثم انتظرت. وعندما لم تسمع جواباً، قرعت الجرس مرّة أخرى.

www.elromancia.com

وبعد المحاولة الثالثة، سمعت ضجة وكأن شخصاً ما يشتم. ارتجفت قليلاً وتملكها السرور لأنها لا تفهم اللغة الفرنسية.

وانفتح الباب وبدا لوك نفسه، وهو يرتدي سروالاً قصيراً يكشف عن جرح على الساق تحت الركبة.

بدا بالغ الرجولة بالشعر الأسود الذي يغطي صدره فلم تستطع أن تتكلم أو حتى أن تفكر.

لم تلاحظ غضبه الشديد إلا بعد أن جالت عيناها بعجز على جسمه ذي العضلات الصلبة ووجهه المذهل بجاذبيته.

- أي جهنم قذفتك إلى هنا؟

وبالرغم من الغضب في ذلك الصوت المنخفض، إلّا أنها عشقت لكنته الفرنسية وهو يتحدث الإنكليزية. وردت عليه بعنف: «ولِمَ فتحت الباب من دون عصاك؟ أنت لست مضطراً لأن تثبت رجولتك أمام الناس، خصوصاً أمامي أنا. لقد أصبحنا أقارب الآن».

أضافت الجملة الأخيرة لتغيظه، فوضع يديه على وركيه: «هل هذه هي طريقتك الغبية لتخبريني أنك وسيزار هربتما بعد السباق وتزوجتما؟».

فضحكت: «هل كنت ستنزعج لو قلت نعم؟».

فقال وقد ضاقت عيناه: «لِمَ أنت هنا؟».

رفعت حاجبيها متسائلة: «ماذا؟ ألا يقال عادة لِمَ لا تدخلين وترتاحين؟»

- أنت لست ضيفة بدعوة مني.

- حتى بعد أن أصبحنا نسيبين؟

فتصلّب جسمه: «مهما كان ما تريدين قوله أسرعي بذلك. أنا

مستعجل».

- هل هذا هو سبب شتائمك وأنت قادم لتفتح الباب؟ إذا لم يكن لديك الوقت لتتصرّف بتهذيب معي حالياً، فيسرّني أن أنتظر.

لو كان النظر قادراً على أن يقتل... وقال: «عليك إذن أن تنتظري طويلاً لأنني سأخرج ولا أدري متى أعود».

- هذا ليست مشكلة. سأرافقك، فقد أحضرت معي حقيبة ملابسي كما ترى لأنني جاهزة للسفر.

حك صدره بدون وعي. لا بد أن زواج ابن خالته من أختها هو السبب الوحيد الذي يمنعه من أن يصفق الباب في وجهها.

وقال بجفاء: «ما سبب هذا كله؟».

فأجابت: «رحلتنا أنا وشقيقتيّ لم تكتمل لأنكم أفسدتموها علينا. هذه الرحلة كلفتنا عشرين ألف دولار بعد الكمبيالات التي كتبناها على أنفسنا كي نشتري العجلات الهوائية لنهرب منكم. هل أكمل سرد الطرق التي أفسدتم بها حلمنا؟».

وابتدأت تعدّ على أصابعها: «أولاً، جعل ماكس الشرطة تعتقلنا في جنوى حال نزولنا من الطائرة، ثم سرقتم قلاداتنا التي قدمها لنا والدانا في عيد ميلادنا السادس عشر، ثم ألقيتمونا في السجن فمنعتمونا من العودة إلى بلادنا، وأرغمتمونا على الذهاب إلى فيلا أسرتكم لنساعدكم في استدراج لص المجوهرات الحقيقي، ذاك اللص الذي لم تكتشفوه بعد».

ووضعت يديها على خاصرتيها ما أبرز مفاتنها تحت ثوبها القطني الأخضر، وتابعت: «لم تكونوا عادلين معنا على الإطلاق. أنا هنا للمحاسبة وما دام ماكس في شهر العسل ونيك سافر إلى لندن بعد حفل الزفاف، لم يبق سواك ليدفع الثمن. أنت مدين لي

www.elromancia.com

لوك! جئت أخبرك أن عليك أن تأخذني في رحلة لعشرة أيام على متن المركب «بكسيوني» قبل أن أعود إلى نيويورك».

تنهّد ثم قال: «لا أظن أنّ هذا سبب حضورك. لِمَ لا تخبريني بسبب مجيئك الحقيقي ولو من باب التغيير؟ ما هو السبب الحقيقي الذي جعلك تأتين إلى بيتي مساء الأحد ومن دون دعوة؟ أين سيزار؟».

- لا أدري. حسناً، هذا ليس صحيحاً تماماً. آخر مرّة رأيته فيها كان على المنصة يقبّل امرأة جميلة تلو أخرى، مستمتعاً بوقته.

خُيّل إليها، للحظة واحدة، أن ظلاً عبر وجهه. وقال بابتسامة متكلّفة: «ماذا حدث؟ ألست على مستوى المنافسة؟».

- هذا السؤال لا يستحق جواباً. الحقيقة هي أن ثمة أمور أخرى تشغل ذهني. أتذكر مسألة (نقود الزواج)؟

- ماذا بشأنها؟

- أخشى أنني اصطدت فتى عابثاً من دون قصد مني وأريد الهرب.

- أي فتى عابث ذاك؟ كانوا كثراً.

ملاحظته المهينة هذه ستردها له! وقالت: «إنه سيزار».

نظر إليها بترفّع: «لا أراه كذلك وعليك أن تعذريني الآن».

وشرع يغلق الباب.

- تحدث أمس عن شراء خاتم خطبة لي بعد السباق.

تعمّدت أن تقول هذا بسرعة قبل أن يغلق الباب. وتابعت تقول: «تركت «مونزا» حالما انتهى السباق وجئت إلى هنا مباشرة».

تملكها السرور عندما عاد وفتح الباب وقد بدا الجمود عليه وهو يقول غير مصدّق: «طلب أن تتزوجيه؟»

صدقت غريزتها ففكرة أن تصبح زوجة أخيه كريهة للغاية بالنسبة إليه. لقد وقع في الفخ. وأجابته: «أليس هذا ما يعنيه خاتم الخطبة؟ أم أن أخاك معتاد على أن يعد كل فتاة تعجبه بالزواج؟».

أخذ يتخلل شعره بأصابعه ما يدلّ على أن هذا الخبر أزعجه. هذا حسن! كانت ترجو أن يبلغ اهتمامه بحماية أخيه من فتاة مثلها حداً يجعله يوافق على خطتها.

وقال بصوت كالثلج: «أي لعبة هذه التي تلعبانها أنت وهو؟».

فقالت متصنّعة البراءة: «لعبة؟ أعترف بأن الإثارة تملكتني. لقد جعلني «فريد» أهتم بسباق السيارات فتابعت نجاح سيزار لفترة طويلة قبل أن نتعارف. وكان تعرّفي إلى أخيك مصدر متعة حيث أمضيت وقتاً خيالياً ولكن...».

- ولكن البليد المملّ «فريد» هو من تريدين. هل تخشين أن تخبري سيزار؟

شعرت بسؤاله أشبه بسوط يلسعها. وأجابت بعجب وهي تكتشف أنه تذكر تعليقاً عفوياً وصفت به «فريد» على مسمع منه.

أجابت: «كلا... أنهيت علاقتي بفريد قبل أن أحضر إلى هنا لحضور عرس غرير».

تمتم بفظاظة: «كم يبلغ عدد الضحايا في ماضيك ذاك؟»

- ماضيّ ليس من شأنك بل سيزار فقط.

انتفض عصب قرب فمه المثير، وتمتم: «استمرّي».

- سيزار يعلم أنني لم أعد أرى «فريد». لذا، لن يصدق أن ثمة رجلاً آخر في حياتي، وهذا صحيح. لكن هذا ليس ما أخبرته به في الرسالة التي تركتها له في الفندق في «مونزا».

فقال ساخراً: «هذا أشبه بالتلويح بعلم أحمر».

www.elromancia.com

- ظننت أنني كنت مهذبة بتصرفي ذاك. قلت له في الرسالة إن قلبي ملك رجل آخر لكنني تمنيت له النجاح. وبما أن سيزار يعلم أن ذلك الرجل ليس فريد، فقد أصبحت الآن وحيدة من دون معين.

تغضن جبينه: «كان عليك أن تفكري في ذلك قبل أن تتورطي معه».

- فتيات أسرة دتشس لا يورطن أنفسهن!

شبك ذراعيه على صدره: «حسناً، سأساعدك، إنما عليك أن تخبريني إلى أين وصلت علاقتكما؟ وهذه المرة أريد الحقيقة».

- لن تصدقني فلِمَ أزعج نفسي؟

- ما زلت تتجنبين الإجابة عن سؤالي. أؤكد لك أن سؤالي ليس نتيجة رغبتي في معرفة التفاصيل الحميمة. أريد الوقائع فقط. لكن إذا لم تشائي أن أساعدك...

وأوشك أن يغلق الباب في وجهها، فقالت متحدّية: «بعد الطريقة التي تكلمت بها معي أثناء الزفاف، أتظن حقاً أنني سأقصد سلم بيتك لو أنني لا أحتاج إلى مساعدتك؟»

ثمة صراع يدور في داخله وقد عرفت ذلك من توتّر ملامحه. وقال بإصرار: «أكرّر، إلى أي حد وصلت علاقتك به لكي تتمكني من فعل ما عجزت عنه أيّ امرأة أخرى؟».

نظرت إليه بغيظ: «أخوك يمثل حلم كل امرأة إنما ليس لدي الرغبة في أن أكون زوجته لسبب واحد وهو أنه لن يصبح زوجاً جيداً إلا بعد أن يعتزل السباق. ولديّ شعور بأن ذلك اليوم لن يأتي قبل سنوات».

- وهكذا ما زلت تحبين عن زوج على الريفييرا؟

- كنت لأجد واحداً لو لم تفسدوا رحلتنا! ومن العدل أن تعوّضوا علينا الآن. من يعلم؟ قد أقابل فتى عابثاً مثيراً يتبيّن لاحقاً أنه هو زوج كامل في أعماقه. والنقطة الأهم هي أن سيزار عندما يعلم أنني ذهبت معك في إجازة، سيتخلى عن فكرة الزواج بي.

- ولماذا؟

- ألا تعلم؟

- لوكنت أعلم لما سألت.

- منذ قابلت سيزار اكتشفت أنك الرجل الوحيد في العالم الذي يرهبه. أنت كغرير بشخصيتك هذه.

قطب لوك حاجبيه بينما تابعت هي: «أنت تعلم... الولد الأكبر في الأسرة الذي يحكم بسلطة إلهية».

فقال متجهماً: «لا... لم أكن أعلم هذا!».

- حسناً، أنت ولدت مسؤولاً. الشخص الذي يعرف كل شيء.

وسكتت لتلتقط أنفاسها ثم تابعت: «على أيّ حال، سيظن سيزار أنك الشخص الذي سرق قلبي ولن يجرؤ على البحث عني لعلمه أنني تحت حمايتك».

ها هي طبيعتها المتهوّرة تدفعها مرّة أخرى إلى التحرّك قبل أن تفكر، لكن الأمر الآن جدي وبالغ الخطورة، أكثر أمور حياتها خطورة.

كان لوك هو من تحب، وبكل ذرة من كيانها. وكلما طال صمته كلما أيقنت أنها ستعاني طويلاً الأمّرين إذا لم يعطها الجواب الذي يرضيها.

بدت عيناه سوداوين في ضوء النهار الخافت وهو يقول: «ما من حرمات بالنسبة إلى امرأة مثلك. ألم تدركي بعد أنك لا تستطيعين

www.elromancia.com

أن تعبثي بالحياة من دون أن تدفعي ثمناً باهظاً؟».

امرأة مثلها؟ وتذكّرت تحذير بايبر من أن لوك قادر على أن يؤذيها إذا ما أتاحت له الفرصة. وقالت وهي تتنفس بعمق: «أنشأنا والدانا على الاعتقاد بأن حكايات الجن يمكن أن تتحقق. لم أستطع إلّا أن أؤمن بذلك وأنا أراهما سعيدين للغاية والنجاح حليفهما. عليك أن تعترف بأن المال المخصص للزواج استطاع أن يجمع بين غرير وماكس. لم أرَ زوجين أسعد منهما قط».

- أنت تحيدين عن الموضوع مرة أخرى. وهذه إحدى خصالك السيئة.

فردّت عليه غاضبة: «إنها ليست أسوأ من عادة السخرية من كل شيء لديك. هل لديك طريقة أفضل تبعد بها أخاك عني من دون إحداث شرخ في العائلة فهو الآن قريب غرير، كحالك أنت طبعاً. لا أريد إحداث شرخ بين أسرتينا حتى قبل أن يعودا من شهر العسل».

- كان عليك أن تفكري في ذلك قبل أن تقفزي إلى سيارة سيزار.

- أنت نفسك كنت لتفعل لو وصلت قبلي. لم تجرب ركوبها من قبل. كم من الناس تسنح لهم فرصة قيادة سيارة سباق؟ إنها تجربة فريدة. لكنني نسيت أن هذا موضوع حساس بالنسبة إليك بما أنك لا تستطيع القيادة.

لمعت عيناه بشكل خطير بينما تابعت هي كلامها: «كلما أسرعت بالإتصال بفابيو موريتي وأخبرته بأنني مستعدة لرحلتي الآن، الرحلة التي سرقتموها مني، كلما أسرعنا في مغادرة موناكو إلى حيث لا يستطيع سيزار أن يجدني».

هز لوك كتفيه العريضتين بعدم اهتمام: «أظن أن الرحيل مستحيل بالنسبة إليّ. عليّ دخول المستشفى عند الصباح لفحص ركبتي وعليّ أن أسير من دون عصا في الاسبوع القادم، فضلاً عن القيام ببعض التمارين والخضوع للعلاج بالماء».

فقالت بحماسة: «هذا عظيم. يمكنك أن تتعافى على متن المركب بينما أمتع أنا نفسي. اتصل بفابيو حالاً، وأخبره أنني أريد خط الرحلة نفسه الذي وضعته غرير من قبل».

قال بلهجة حاسمة: «إنه محجوز لشهر آب».

لن تسمح له بأن يتملص بهذه السهولة فقالت: «حتى لو صح هذا، فالمركب يتسع لستة ركاب. ولعل غرف النوم ليست مشغولة كلها. إذا لم تشأ الاتصال به فسأفعل أنا. إنه يعرف أنك مدين لي، ولن يردّني خائبة. وهكذا، حتى لو أراد سيزار أن يلحق بي فلن يرغب في أن ينضم إلى سيّاح على متن مركب ضيّق».

وعندما خطر لها أنهما وصلا إلى طريق مسدود، أدهشها بأنه تقدّم إلى حيث كانت عصاه وسط الردهة. ورغم أنه لم يطلب منها أن تتبعه، إلاّ أنه ترك الباب مفتوحاً لها.

سارت خلفه تجر حقيبتها والفضول يتملكها لرؤية بيته، ولاحظت أن عرجه لم يعد ملحوظاً إلا قليلاً جداً. وما أن تجاوزت العتبة حتى فتنها ما رأت.

كان منزلاً ريفياً فرنسياً حقيقياً بأثاث رائع لا يمتلكه إلّا رجل ارستقراطي.

تذكرت أوليفيا أن والد لوك هو دوق وأمه أميرة من سلالة «بارما-بوربون» في إيطاليا.

نظرت من حولها بإعجاب وهما يسيران إلى المكتب المحاذي

للردهة حيث رأت سلماً يؤدي إلى الطابق الثاني.

بعد أن أمضت معظم النهار في الشمس الحارة، وجدت المنزل بارداً ومنعشاً. وبما أنه تجاهلها، دخلت مكتبه الخاص من دون دعوة، وغاصت في مقعد وثير.

دار لوك حول مكتبه الضخم ومدّ يده إلى سماعة الهاتف وهو لا يزال واقفاً، ثم ما لبثت أن سمعته يقول: «مرحباً فابيو». وأخذ يتكلم بالإيطالية.

كان أبناء الخالات متقاربين كالأخوة ورجالاً غير عاديين، ما جعل أوليفيا ترغب في أن توقع لوك في حبها أكثر من أيّ وقت مضى. كانت من التلهف إلى ذلك إلى حد يمكنّها من أن تفعل أي شيء لتحقق هدفها.

لم توهم أوليفيا نفسها قط بأن لوك يريد أن يكون معها، بل إن سعيه لترتيب أمر الرحلة مع فابيو أثبت أنه يريد أن يخلّص سيزار من بين براثنها.

كان الوضع مثالياً.

أرجوك يا فابيو أن تقبل!

* * *

- ليتني أستطيع مساعدتك، يا لوك، لكن المركب مستأجر طيلة شهر آب. ثمة غرفة نوم واحدة إذا شئت أن تلحق بنا في «مونتروسو» يوم الثلاثاء، يمكن للسنيوريتا داتشس أن تستعملها حتى نهار الأحد. يمكنك أن تأخذ مكاني فيما أنام أنا على السطح.

- أنت صديق طيب يا فابيو، لكنني لن أقبل أبداً بمثل هذه التضحية.

أثناء حديثهما، كانت عينا لوك على أوليفيا، متسائلاً عما تخطط له؟ لقد تعلم ألّا يصدق حرفاً يخرج من ذلك الفم الجميل المخادع. على أيّ حال، لا يظن أنها كذبت بالنسبة إلى نية سيزار.

لم تعد الحياة كما كانت منذ اقتحمت توائم داتشس عالم لوك. ففي كل لحظة كن يقدمن على تصرّف غير متوقع ما جعله وابني خالتيه يشرفون على الجنون. لكن سيزار دخل على الخط مؤخراً.

وتمتم فابيو: «ليتني أستطيع أن أساعدك! لكن حال شركات تأجير المراكب في المنطقة كحالي. لو كان لدي المزيد من الوقت، وأنت لا تطلب مركباً مترفاً، لاستطعت أن أجد لك واحداً».

مركب مترف!...

وسأله لوك: «ماذا عن صديقك جيوفاني؟ هل ما زال يملك ذلك المركب القديم؟».

- طبعاً، لكنه بحاجة إلى دهان.

هذا أفضل. وسأله: «هل يدعني أستعمله؟ سأدفع له كما دفعت توائم داتشس الثلاث لك».

- أتعني فقط لتدور حول خليج «فيرنازا» بينما تقوم أنت بصيد السمك؟ لا بد أنك تمزح! اثنا عشر ألف دولار مبلغ يفوق ما يربحه خلال خمسة أشهر في إقليم «فيرنازا». سيبتهج للغاية إذا ما استأجرت مركبه منه، لكنني أشك في أن تضع السنيورا داتشس قدماً فيه.

ارتسمت ابتسامة شيطانية على فم لوك. عندما تكتشف الحقيقة، وهي المرأة المدللة الماكرة، ستترك «فيرنازا» على أول قطار

www.elromancia.com

يغادرها.

إذا كان سيزار يريدها إلى ذلك الحد، فعليه أن يلحق بها. أما بالنسبة إليه هو فستخرج من حياته إلى الأبد. وعندما يحلّ عصر الغد يكون قد تحرر. وبعد أسبوع، سيتمكن مجدداً من أن يقود سيارته وتعود الحياة إلى ما كانت عليه قبل قدوم الأخوات داتشس.

لقد انتهت أيام التزلج بالنسبة إليه، وأصبحت هذه الرياضة التي استمتع بها منذ حداثته من الماضي. لكن الأطباء أكدوا له أنه سيتمكن من السير من دون العصا. وفي نهاية الأسبوع سيحتفل بذلك.

- لوك؟ أما زلت على الخط؟

- المعذرة يا فابيو فقد شرد ذهني لحظة. جواباً على سؤالك، لن يكون أمام الآنسة داتشس أيّ خيار آخر إذا أرادت القيام بجولتها قبل أن تعود إلى وطنها. إذا أعطيتني رقم هاتف جيوفاني فسأتصل به وأتفق معه.

- ما من مشكلة. يمكنك أن تعتبر الأمر منجزاً. سيكون المركب في انتظاركم في مرسى «فيرنازا».

- عظيم. شكراً يا فابيو. إلى اللقاء.

ودخلت أوليفيا في اللحظة التي وضع فيها السماعة، فالتقت عيناه بعينين زرقاوين لامعتين وسألته: «حسناً؟ ماذا قال السنيور مورتيني؟».

- قال لي إنه سيبذل قصارى جهده ليوفّر للدوقة كينغستون مركباً.

- كنت أعلم أن فابيو لن يخيّب ظني! لكن عندما تتحدث إليه في المرة التالية أخبره أنّ كل ما أريده هو أن أتمتع بالإجازة التي

موّلها أبي.

نعم، نقود الزواج الشهيرة. من يمكنه أن ينسى؟ هذا يثبت أن الحقيقة أغرب من الخيال.

قال ماكس إنّ الأخوات داتشس جئن إلى أوروبا بالمال الذي ورثنه عن أبيهنّ، وهو «مبلغ مخصص للزواج» لا يستطعن إنفاقه إلا لغرض الزواج.

بدت هذه الخطة سخيفة مضحكة لكنها نجحت. فغرير داتشس أصبحت السنيورا دي «فارانو»، وماكس عريسها السعيد.

تملك نيك ولوك الذهول للقرار الذي اتخذه ابن خالتهما بكل هذه اللهفة. فقد خطب غرير بعد أربعة أيام من تعرفه إليها وهو رقم قياسي.

تأملها لوك لحظة: «يبدو أن أمنيتك ستتحقق. سيكون المركب جاهزاً غداً».

- لكنك قلت إن عليك أن تذهب إلى المستشفى في الصباح. ألا تحتاج إلى يوم راحة أولاً؟

ما الذي تخطط له الآن؟ أن تتظاهر بالاهتمام لأمره؟

- اعتقدت أن السبب الرئيسي لهذا كله هو أن أخلصك من سيزار في أسرع وقت.

- نعم، ولكن ليس على حساب ساقك.

- ما ظننتك تهتمين لذلك.

منذ أول لقاء جمعهما، بدا أن أوليفيا تستمتع بالسخرية من وضع ساقه المصابة.

واندفعت تقول: «أنا أهتم طبعاً، فأنت بشر، أخبرني سيزار أنك تعمل على تصميم إنسان آلي. هذا مسل للغاية».

www.elromancia.com

- يسرّني أن نفهم بعضنا بعضاً.

نظرت إليه مشككة: «لماذا؟».

- سيكون عليك أن تخدميني وتحملي الحقائب بدلاً مني.

- سيساعدك بحارة «بكسيوني». أما أنا فسأكون مشغولة بالسباحة.

- أتعنين أنك ستبحثين عن رجال؟

- هذا صحيح. فهمت من سيزار أن أمير موناكو يمارس رياضة الغوص على شاطئ أسبانيا حالياً. سأطلب من القبطان أن يتوجّه إلى هناك حالما نغادر الميناء.

- نعم، افعلي.

- سأفعل!

وردّت رأسها إلى الخلف، مشيحة بوجهها لتنظر إلى المشهد الخارجي. هذه الحركة لفتت الانتباه إلى شعرها الذهبي الجعد المتألق الذي غيّرت تسريحته فجعلته قصيراً ما أبرز ملامح وجهها الكلاسيكية، وأظهر عينيها الواسعتين. ووجد لوك نفسه يتطلع إلى الغد حين تكتشف أنها والخدم شخص واحد.

كان من الصعب أن يصدق أنه افترض ومنذ ساعة فقط أن أخاه الأصغر أخذها إلى فيلا الأسرة الصغيرة التي تطل على البحر المتوسط، وهو المكان المفضل لدى سيزار.

وتذكر لوك أوليفيا حين وقفت في الكنيسة وهي ترتدي ملابس وصيفة الشرف البيضاء ولم يستطع أن يلوم سيزار لعدم تمكنه من تحويل عينيه عنها أثناء الاحتفال.

ولم يدهشه أن تلقي نظرة واحدة على سيزار لتلحق به بعد ذلك بسرعة. إنه الفتى العابث صاحب اللقب الذي حلمت به وجاءت

إلى أوروبا من أجله.

وها هي الآن تدعي أنها هربت من أخيه. لكنها من دون شك خطة لكي تحصل عليه في النهاية. ومن سوء حظها أنها جاءت تطلب العون من الرجل غير المناسب، فلن يسمح لوك لمخادعة انتهازية مثل أوليفيا داتشس بأن تنجح في خطتها هذه حتى ولو كانت، هي وسيزار، يستحقان بعضهما بعضاً.

وفجأة، استدارت على عقبيها: «لا أظن أنّ ثمة طباخ فرنسي حقيقي على متن المركب هذه المرة».

تظاهر لوك بأنه يبحث في درج مكتبه، وقال: «فابيو يستخدم موظفين من جنسيات مختلفة. لم أفكر في أن أساله عن ذلك. كان عليك أن تستغلي مهاراتي في الطبخ عندما سنحت لك فرصة».

- لحظة واحدة... لقد اكتشفت أن طباخ والديك هو من كان يعد الطعام قبل إرساله إلى المركب.

ألقى عليها نظرة سريعة: «نعم، حدث هذا مرة واحدة لأنني كنت مشغولاً».

- أتعني أنكم كنتم منشغلين جداً بلعب دور التحرّي؟ لِمَ لم تعثروا على اللص بعد؟

- امنحينا مزيداً من الوقت وسنعثر عليه.

هذا الصباح، اتصل نيك بلوك، وطلب منه السفر إلى إنكلترا لأنّ الشرطة عثرت على دليل جديد في قضية المجوهرات المفقودة من قصر «كولورنو» في إيطاليا إذ شوهدت قطعة منها في مزاد علني في لندن. أراد نيك أن يناقش التطورات الجديدة معه لكن لوك رفض طلبه بسبب موعده في المستشفى. لكن بعد أسبوع من شفائه، سيزور نيك في إسبانيا حيث يعيش، لمناقشته في كيفية

www.elromancia.com

اقتفاء أثر السارق.

خيبة الأمل في صوت إبن خالته جعلت لوك يعتقد أن نيك يبحث عن عذر لرؤيته لأنه يشعر مثله بالوحشة بعد أن انتهى الزفاف، وأصبح ماكس، أفضل صديق وأخ لهما، رجلاً متزوجاً.

- لوك؟ هاتفك يرن فيما لو لم تنتبه. ويبدو، من تواصل الرنين، أنه لن يتوقف. أظنه سيزار يسأل عني. ربما عليّ أن أجيبه بنفسي وبهذا يعتقد أنك الرجل الذي أشرت إليه في رسالتي. ما رأيك؟

ردّ من دون تفكير: «تفضّلي».

٣ - بداية المتاعب

تناولت أوليفيا السماعة من يد لوك وكلها ثقة ثم قالت: «مرحباً».

وعندما لم يأتها أيّ ردّ قالت مرحباً مجدداً وبصوت أعلى. إذا كان سيزار المتصل، فلا بد أنه يفكّر فيما إذا كان عليه أن يتكلم أم لا.

وفجأة، جاءها صوت أنثوي: «أوليفيا داتشس؟».

إنها أختها غرير! قالت أختها من دون تمهيد: «ماذا تفعلين في منزل لوك؟ وتجيبين على هاتفه؟ لا أصدق سلوكك هذا».

أدارت أوليفيا ظهرها للوك. لم تستطع أن تفهم سبب اتصال غرير بها من اليونان بينما يفترض بها أن تكون حالياً مع ماكس. فكرت أوليفيا بسرعة ثم سألتها: «أما زلت في مونزا؟».

- مونزا؟ فهمت. لوك يقف بجانبك. أخبرتني بابير عن مشروعك الجنوني وتوسلت إليّ أن أمنعك لكنني أرى أن الأوان قد فات.

- نعم، مع الأسف.

- أصغي إليّ... ثمة أمر عن لوك يجب أن تعرفيه وكنت آمل ألّا أضطر لأن أخبرك به، لكن وبعد اتصال بابير، قررت أن ذلك ضروري.

- لم يعد بيننا ما يقال. كما أن لوك عليه أن يذهب إلى

www.elromancia.com

المستشفى في الصباح الباكر لإجراء جراحة لساقه، ولهذا عليه أن يخلد إلى النوم باكراً.

- أي جراحة؟ لا علم لماكس بذلك!

- أكد لي لوك أن الأمر ليس خطيراً لكنه لن يستقبل أيّ زوار قبل فترة. سألعب دور الممرضة ريثما يستعيد عافيته. بعدئذ، يصبح بالإمكان التحدث إليه.

- أوليفيا داتشس... إياك أن تجرؤي على إقفال السماعة. أنا لم أنته من...

- تهاني، مرة أخرى.

- أوليفيا ياياياياياياً؟

- سأخبره. ليلة سعيدة.

وقطعت الاتصال بسرعة كيلا يسمع لوك صرخة أختها المهددة. وعندما رفعت بصرها إليه تلاقت أعينهما.

أقلقتها نظرته القاسية، وقال لها آمراً: «أخبريني بما هناك».

- سيزار قلق عليك ويرجو نجاح العملية.

- إنها ليست عملية بقدر ما هي إجراء اعتيادي مع مخدر موضعي.

هزت كتفيها: «المهم هو أنني تخلصت منه. وهو لن يأتي للبحث عني».

فسألها بلطف: «هل تتوقعين مني أن أصدق هذا؟».

- على أيّ حال، إذا جاء، وربما لن يكون ذلك قبل الغد، فسنكون قد غادرنا المستشفى منذ وقت طويل. إذا جاء ليبحث عني، سأخبره أن العطف الذي شعرت به تحول على المركب «بكسيوني» إلى حب لكنني لم أدرك ذلك إلا بعد أن ذهبت إلى

«مونزا» معه.

فقال بصوت قاسٍ كالصخر: «لن يصدقك أبداً».

غضبت وقالت: «أتعني لأنه يعلم أنك لا تحبني؟ حسناً، إذا لم يعرف الكل هذا قبل حفلة الزفاف فقد علموا بعدها وبفضلك أنت. لكن شعورك نحوي غير مهم. المهم هو أن يدرك سيزار أنني هنا وأنني اخترت وهكذا..».

رن جرس الهاتف مرة أخرى فانقضّت عليه خوفاً من أن تكون غرير قد عاودت الاتصال بها، لكن يد لوك وصلت إليه قبلها فجست أنفاسها بانتظار الأسوأ.

- مساء الخير يا سيزار. تهاني لهذا النجاح المتألق.

آه... لا... إنه سيزار. لقد تحول الأمر إلى كابوس.

جمدت أوليفيا مكانها، تنتظر انفجار القنبلة، بينما تابع هو: «إنها هنا».

ناولها لوك الهاتف وقد سمّرها بنظرة حادة وهو يهمس: «عليك أن تكوني أكثر مهارة في التخلص منه هذه المرة. لم يحرز بطولة العالم في سباق السيارات من العدم».

رفعت الهاتف إلى أذنها، شاعرة وكأنها على شفا جرف قد تسقط منه في أي لحظة: «ما الأمر، يا سيزار؟».

- حسناً، يا لها من تحية! أنت تعرفين حقاً كيف تجرحين الماء. لم أعرف إلا منذ دقائق أنك ذهبت إلى منزل أبويّ لتسألي عن لوك. توقعت أن أجدك في الموقف حيث طلبت منك أن تنتظريني عند انتهاء السباق.

- أنا آسفة حقاً.

- والآن أكتشف أنك في منزل أخي... أخبريني، يا جميلتي،

www.elromancia.com

ما الذي يميّزه عني؟

لم تستطع أن تفهم ما إذا كانت كرامته هي التي تتكلم أم أنه يكن لها شعوراً ما.

أجابت: «ألا يمكن أن ندع هذا الأمر ونبقى مجرد صديقين؟».

- إذن، عندما عرفته في شهر حزيران، كان الحب من النظرة الأولى؟

وكان جوابها صادقاً وهي تقول: «نعم».

صمت طويلاً قبل أن يقول: «إنه رجل محظوظ. إلى أن أراك مرة أخرى، أرجو أن يكون قد أدرك ذلك. إلى اللقاء قريباً يا عزيزتي».

وكان في صوته رجفة واضحة.

إنه تحذير كئيب آخر من لوك. وقد جاء هذه المرة من سيزار مختلف عن ذلك الذي يعرفه العالم. لقد لمست ألماً حقيقياً وراء كلماته... ما الأمر؟

لم تكن بايبر تمزح عندما قالت إنها تعرف سراً عظيماً، وأحست أوليفيا أنه يتعلق بلوك وليس بها هي. لقد حاولت غرير أن تخبرها ذلك السرّ لكنها رفضت أن تصغي.

أخذ لوك الهاتف من يدها: «من الأفضل أن تجلسي إذ شحب وجهك قليلاً. يبدو أن أخي منزعج من رفضك له».

- أنا بخير، لكن يجب أن أعترف بأنه ارتجف قليلاً.

وخطر لها أن السبب هو لوك وليس هي.

- متى سيحضر؟

عضت شفتها: «ماذا يعني بقوله إلى اللقاء قريباً؟».

أظلمت ملامحه: «إلى اللقاء قريباً بالنسبة إلى سيزار تعني غداً

على الأرجح».

غصت بريقها. لم تشأ أن يفسد أحدهم خطتها.

- متى عليك أن تكون في المستشفى؟

- في السادسة والنصف صباحاً. قال الطبيب إن الأمر سيستغرق عشرين دقيقة تقريباً وسأتمكّن من الخروج عند الثامنة والنصف على الأرجح. سأتدبر أمر حضور هليكوبتر لتأخذنا من المستشفى إلى «فرنازا».

- هذا جيد جداً.

لحسن الحظ أن سيزار لا يعرف شيئاً عن العملية. وإذا قصد بيت لوك غداً، فسيكونان قد غادرا منذ وقت طويل.

- هل أنت واثقة من أنك تريدين أن تبتعدي عنه؟

- طبعاً!

وأشاحت بوجهها لئلا يدرك مدى حماستها للرحيل معه، ثم أردفت: «من الأفضل أن تحسم المسألة نهائياً. كتبت له كل شيء في الرسالة التي تركتها له».

ولكي تؤكد كذبتها بأن سيزار هو من اتصل بها مرتين، أضافت: «أتمنى فقط لو لم أخبره عن عمليتك. أتظنه سيأتي إلى المستشفى؟».

قال عابس الوجه: «أليس هذا ما تريدينه بالضبط؟»

فرفعت رأسها متحدية: «يمكنك أن تظن ما تشاء».

اتسعت ابتسامته الخفيفة: «ليس هذا ما أظنه. إنه أخي من يظن أنه واقع في حبك».

- هذا غير ممكن. وكما كانت غرير ستقول إن شعوره مجرد رغبة جسدية.

www.elromancia.com

انفجر ضاحكاً ضحكة ساخرة، لكنها تجاهلته إذ راحت تفكر في حديثها مع سيزار الذي لطالما عبّر عن مشاعر قوية كلما تحدثا عن لوك.

كانت بايبر تعرف سراً عن لوك. وأن تزعج بايبر أختها غرير أثناء شهر العسل، يعني أن الوضع أكثر خطورة مما تظن أوليفيا. إنها بحاجة لأن تتحدّث طويلاً إلى بايبر أثناء غياب لوك عن المكان. والتفتت إليه مرة اخرى قائلة: «إذا طلبت لي سيارة أجرة فسأنام الليلة في المدينة ثم أقابلك صباحاً في المستشفى».

- وهكذا تتقابلان في مكان تتفقان عليه؟

والتمعت عيناه بشكل خطر قبل أن يضيف: «لا، مع الأسف. في المنزل خمس غرف نوم ولا حاجة بك للذهاب إلى أي مكان. في الواقع، أنا أصر على بقائك لكي تساعديني في حزم أمتعتي للسفر غداً. الخدم غائبون في إجازة نهاية الأسبوع».

فكرة بقائها معه في بيته ملأتها إثارة. يمكنها على أي حال أن تتصل ببايبر من الطابق العلوي بعد ذهابها إلى الفراش.

نظرت إليه متأملة لحظة: «لن يتطلب حزم الأمتعة وقتاً طويلاً فأنت لن تحتاج إلى الكثير من الملابس للاستلقاء تحت أشعة الشمس. سروالان وبعض القمصان تكفي إنما أكثر من ملابس السباحة بما أنك ستخضع لعلاج بالماء. وهذا يذكرني بأني لم أحضر معي لأجل العرس سوى القليل من الملابس».

عندما يتوقف المركب «بكسيوني» في الموانئ المختلفة، يمكنها أن تنزل إلى الشاطئ حيث تشتري بعض الأثواب وبهذا تبدو جميلة أمام لوك.

- المرأة التي تسافر خفيفة تساوي وزنها ذهباً.

- لماذا يقول الرجال هذا دوماً؟

- هل أنا بحاجة حقاً لأن أشرح لك لما يحب الرجل المرأة في أقل ما يمكن من الملابس؟

- هذا غريب فالمرأة تفضل أن ترى الرجل في ثوب رسمي.

- أتعنين مثل فريد، رجلك العسكري؟ يبدو أنه لم يعد يبدو أنيقاً في ملابسه تلك.

- كان يبدو رائعاً ولكن بمقياس من واحد إلى عشرة، يأخذ هو الدرجة الثالثة.

- أي مقياس هذا؟

- إنه المقياس الذي نضعه نحن الأخوات الثلاث، لتقويم الرجال الذين نخرج معهم.

- يبدو أن ماكس...

قاطعته: «تفوّق على المقياس. سيزار سجّل الرقم تسعة. كل ما ينقصه هو مهارات الزوج».

ثم غامرت بقولها: «إذا كان يهمك أن تعرف مكانك في المقياس فأخشى أن أخبرك».

- تعنين أنني غبي وممل مثل فريد.

- أنت لست مملاً بقدر ما أنت كئيب وانطوائي معظم الأوقات بالمقارنة مع أخيك مثلاً. أنت لا تعرف كيف تعبث، وتأخذ مسؤولياتك بشكل جاد. فأنا لا أراك تضحك إلا عندما تسخر مني.

وتعمدت أن تحملق فيه وكأنه نوع غريب من الجنس البشري: «في الواقع، أنت لا تشبه أي رجل عرفته. ليس فيك صفات طبيعية. وأنت نقيض الفتى اللعوب المثير الذي خططت للزواج به

حين جئت إلى أوروبا».

تمتم لوك شيئاً بالفرنسية، فسألته: «ماذا يعني هذا؟».

- يعني أن ليس كل ما يلمع ذهباً.

- هذه هي فلسفتك اللاذعة. والآن هلّا أرشدتني إلى غرفتك لأحزم لك أمتعتك...

- اتبعيني.

سارت خلفه ممتعة ناظريها بمنظر جسمه المثير برجولته. كان جسده رائعاً بحيث لم تُدهش حين عرفت أنه كان من أشهر المتزلجين قبل الحادث.

بعد الحادث، أمضى لوك، بحسب سيزار، أشهر عدة يعاني من آلام مبرحة. وأصغت إليه برعب وهو يصف لها ذلك الحادث الذي كاد يفقد لوك ساقه.

لا عجب إذن لتلك الخطوط الذي حفرها التوتر على ملامحه الوسيمة والتي رأتها على وجهه عندما تعرفت إليه في البداية على المركب «بكسيوني».

قربها منه الآن جعلها تدرك أنه شفي فالظلال التي كانت تحت عينيه وهزال وجنتيه الخفيف، كادت تختفي، لكنه لم يفقد ذلك القناع الجامد الذي يضعه والذي تلهفّت لأن تمزقه وتعرف سببه.

عندما وصلا إلى غرفته الفسيحة أذهلها جمال اللونين الأزرق والخمري على الجدران.

جلس لوك على السرير يريح ساقه وهو يقول: «ستجدين حقيبة السفر على رف الخزانة. كل ما أحتاجه ستجدينه في تلك الخزانة تحت النافذة».

أرغمت نفسها على سلخ عينيها عن مظهره الرائع، لتشهق وهي

تنظر من الواجهة الزجاجية إلى مشهد إمارة موناكو كلها. وكادت تنسى أن عليها أن تحزم أمتعة لوك.

البهجة التي شعرت بها لوجودها مع لوك، ولإمساكها بملابسه جعلتها ترتجف. وسرعان ما وجدت كل ما يحتاجه من قمصان رياضية وسراويل قصيرة وطويلة وبذلة سوداء للسباحة.

وعندما أقفلت الحقيبة، ابتسمت له: «انتهيت».

أخطأت حين ألقت عليه نظرة أخرى. نظرة قد لا تنساها أبداً. كان أشبه بتمثال قديم رائع الرجولة وهو مستلقٍ على السرير يراقبها من تحت جفنيه المسبلين.

وتنحنحت ثم قالت: «سنحزم ملابسك الأنيقة في الصباح قبل الإنطلاق. هل تحتاج أيّ شيء آخر قبل أن أبحث عن غرفة أنام فيها».

وتصورت نفسها تنام بين ذراعيه ما جعل نبضات قلبها تتسارع.

- عندما نصل إلى المركب، سأحتاج إلى تدليك لساقي. لكننا سنتناسى ذلك هذه الليلة. هل لديك ساعة منبّهة؟

لم تستطع أن تتنفس وهي تفكر في أنها ستلمسه، وأجابت: «أنا لا أسافر قط من دون ساعة منبّهة».

- يجب أن أستيقظ إذن عند الساعة السادسة. ستأتي السيارة لتأخذنا إلى المستشفى بعد ذلك بربع ساعة.

- يسعدني أن أفعل ذلك.

- إذا كنت جائعة فاعتبري نفسك في بيتك.

- شكراً لكنني أكلت في الطائرة. أتريد أن تأكل؟

- كنت قد أنهيت عشائي للتو عندما طرقت بابي.

- ما دمت قد أزعجتك فسأنزل إلى الطابق السفلي لأنظف

www.elromancia.com

المكان.

- هذه وظيفة مدبرة المنزل. أصبحت مطيعة ومتواضعة فجأة.

- هذه طبيعتي الحقيقية.

انفجر ضاحكاً بسخرية: «أتساءل إذا ما كذبت عليّ وسيزار في طريقه إلى هنا».

أزعجها قوله هذا فردت: «تساءل كما تشاء، أما أنا فسأذهب للبحث عن غرفة أنام فيها».

- تصبحين على خير يا آنسة أوليفيا. أرجو أن تطفئي النور وتغلقي الباب خلفك عند خروجك. لاحظي أنني قلت (تغلقي) وليس (تصفقي).

وعندما خرجت من الغرفة حاملة حقيبتها، كانت لا تزال تسمع قهقهته الخافتة الشيطانية. وبعد أن طافت على كافة غرف النوم، اختارت غرفة بجانب غرفة لوك وتطل على المنظر نفسه.

كل ما ينقص هذه الغرفة هو باب يصل بينها وبين غرفة لوك الرئيسية.

أخذت تفكرفي طفل لوك وكيف يمكن أن يبدو إذا ما كانت هي أمه. وبعد أن ربطت المنبه، استلقت في السرير الفسيح، وهي تفكر في أن خطتها نجحت فها هي تنام الآن تحت سقف لوك وفي الغرفة المجاورة لغرفته.

لكن بقي عليها أن تقوم بأمر واحد وإلا فلن ترتاح. تناولت سماعة الهاتف لتتصل ببايبر. وبعد أن طلبت رقم غرفتها في الفندق، انتظرت فسمعت طقطقة تشبه تلك التي تحدث عندما يرفع شخص ما سماعة الهاتف.

لعل لوك يتجسس عليها ليرى إن كانت تحاول أن تتصل

بسيزار. يعاني الرجل الذي في الغرفة المجاورة من مشكلة خطرة وهي عدم الثقة.

قطبت أوليفيا جبينها قبل أن تشكر عاملة الهاتف ثم تضع السماعة من يدها. يبدو أن بايبر قررت السفر إلى الوطن ليلاً بدلاً من الانتظار حتى الصباح.

عليها أن تنتظر حتى الصباح لتتصل ببايبر أثناء وجود لوك في غرفة العمليات، إلا إذا أخذت رقم هاتف غرير من أهل زوجها لتتصل بها في اليونان.

وعادت تغوص تحت الأغطية، خائفة من ألّا تتمكن من النوم. إن لوك مستلقٍ في السرير في الجهة الأخرى من الجدار. التفكير في أنه مستيقظ وربما يفكر فيها حبس أنفاسها.

صورته وهو مستلقٍ في فراشه كانت آخر صورة شغلت ذهنها عندما رن جرس المنبه بعد ذلك بسبع ساعات.

حطت طائرة الهليكوبتر فشعرت أوليفيا بدوار خفيف فهذه هي المرة الأولى التي تركب فيها طائرة هليكوبتر.

لكنها أثناء الرحلة، كادت تنسى خوفها أو شعورها بالغثيان بعد أن وقعت عيناها على الشاطىء الفرنسي والإيطالي من الجوّ.

لم تستطع أن تتصور كيف هو حال أن تستيقظ كل صباح من حياتها على مثل هذا الجمال، وأن تعمل وتلعب، وتنام، محاطة بكل هذا الجمال.

لكن يجب أن يكون لوك جزءاً من هذا الجمال طبعاً وإلا لفقد المكان سحره.

لم تستطع الاتصال ببايبر من المستشفى. ومن حسن حظها أن سيزار لم يأت إلى البيت باكراً لكي يكشف كذبها.

وكان الطبيب قد أعطى لوك جرعة كبيرة من المسكّنات ما جعله أهدأ من العادة.

وعندما حطت الطائرة بهما في منطقة قبالة شاطىء «فرنازا»، ساعده الطيار على النزول إلى الأرض، ثم سار مستعيناً بعكازه.

نظرت أوليفيا من حولها. لم ترَ المركب «بكسيوني» في أي مكان، فنظرت إلى لوك بحيرة: «لا أفهم! أين المركب؟».

لا بد أن ضجة محرك الطائرة منعته من سماع سؤالها إذ اقترب منها وسأل: «ماذا قلت؟».

- لِمَ «فابيو» ليس هنا ليستقبلنا؟

- نسيت أن أخبرك أنه اتصل بي عندما كنت في المستشفى، وأوضح لي أن أحد المحركات تعطل فاضطر لأن يرسو في ميناء «مولتيروسو». قد يستغرق إصلاحه أياماً فاتخذت الترتيبات اللازمة مع صديقه جيوفاني.

نظرت إليه بحيرة: «أي ترتيبات؟».

٤ - طائر النورس

أشار لوك برأسه نحو مركب شراعي محزن الشكل فقالت: «هذا الشيء التافه؟ لا بد أنك تمزح!»

حدق فيها بغموض وأجاب: «لقد قدت الغابيانو من قبل».

- غابيانو؟

- أيّ طائر النورس. إنه مركب قيّم. لقد بذل «فابيو» قصارى جهده. يبدو أن كافة المراكب محجوزة مقدماً منذ أشهر، فإما هذا وإما لا شيء.

بدا فمه متوتراً. لعل مفعول الدواء المسكّن للألم قد زال، وهو بحاجة للمزيد. وتملكها شعور بالذنب لأنها تجعله يقف هناك ومن دون مساعدة. ولعل الأسوأ هو أن الهليكوبتر رحلت.

- أنت بحاجة للراحة. هيا بنا، سنصعد إلى المركب بانتظار وصول جيوفاني.

بدا أنّ لوك لا يحتاج إلى مزيد من التشجيع ما يعني أن الألم أشد مما تظن.

حملت حقيبتيهما ثم سارا معاً على الرصيف. وعندما وصلا إلى المركب، وضعتهما على الأرض وطلبت منه أن يتكئ على كتفها ليحافظ على توازنه. أرسل احتكاكهما هذا الحرارة في كيانها.

نزلا إلى المركب الذي بدا بحاجة إلى دهان وصيانة وبعض

www.elromancia.com

الإصلاحات حتى بالنسبة إلى عينها غير الخبيرة.

رأت معدات الصيد ومجذافين. لكنها لم ترَ أيّ أثر لمعدات التزلّج على الماء، أوا كراسٍ لحمامات الشمس كما في مركب «بكسيوني».

صعدت خلف لوك، تاركة حقيبتي الملابس على الرصيف. وتمسك هو بها فيما هما ينزلان الدرجات إلى أسفل المركب حيث المطبخ والحمام. كان المكان ضيقاً أشبه بعلبة سردين.

فتح لوك باب القمرة إلى اليمين. كان فيها نافذة صغيرة فوق الخزانة وصندوق وسريران مثبتان في الجدار، أحدهما فوق الآخر.

اعترفت أوليفيا بأن المكان يبدو نظيفاً. ومع ذلك فهو بعيد كل البعد عن ذلك المركب المترف الذي استأجرته هي وشقيقتاها حين قصدن المكان للمرة الأولى.

لكنها حققت هدفها الأول، فلوك سيصبح لها طيلة الأيام العشرة التالية.

إذا اضطرت للمكوث على متن هذا المركب بدلاً من «البكسيوني»، فلن تتذمر إذ ستستمتع خفية برفقته.

لم تظن بايبر وغرير أنها ستصل إلى هذا الحد. لكنهما قللتا من شأن حبها للوك، وتصميمها على الفوز بقلبه.

تخلت عن أفكارها هذه ثم ساعدته على رفع ساقه المصابة بينما استلقى هو إلى الخلف وهو يتأوه بعمق ثم أغمض عينيه.

تركت القمرة بسرعة ودخلت إلى المطبخ حيث تملكتها الدهشة وهي ترى الثلاجة مليئة إلى حد لا بأس به. أخرجت زجاجة مياه معدنية ثم اندفعت عائدة إليه.

كان الطبيب قد زوده ببعض الحبوب المسكّنة للألم فأخرجت

الزجاجة من حقيبة يدها.

- لوك؟ لدي مسكّن للألم؟

فتح عينيه. كان لونهما في النور الخافت أشبه بلون الرصاص.

ورفع نفسه على مرفقه وابتلع الحبتين ثم شرب زجاجة الماء المعدني كلها. كان أكثر ظمأ مما تصوّرت.

شكرها ثم سقط مرة أخرى على فراشه وأغمض عينيه.

- متى تظن أنّ جيوفاني سيأتي؟

- ليس لدي فكرة.

- أيمكننا أن نتصل به بواسطة هاتفك الخلوي؟

- طبعاً.

- إنه في جيبك.

- لا. لقد أعطيتك إياه مع الدواء.

- لم ألاحظ وجوده في حقيبة يدي.

وسارت نحو المنضدة حيث وضعت حقيبتها فأفرغت محتوياتها ثم التفتت إليه: «ليس هنا».

- أفترض إذن أنه بقي في المستشفى خطأ.

آه، لا. لا يمكنها حتى أن تتصل بأختها بايبر.

- حسناً، إذا لم يأتِ جيوفاني قريباً، فسأسير إلى أيّ دكان على الشاطئ واستخدم هاتفهم للاتصال به.

- هذه فكرة حسنة. سأنام لفترة إذا لم يكن لديك مانع.

- لا بأس. عليّ أن أفرغ الحقيبتين.

عادت أدراجها إلى سطح المركب. لم تُسرق الحقيبتان لله الحمد. سترتّب محتوياتهما في أمكنتها في دقائق. وكان لوك لا يزال مستغرقاً في النوم حين سارت على أطراف أصابعها باحثة عن

www.elromancia.com

الأماكن المناسبة لمتاعهما.

شعرت بمتعة كبرى في التحديق فيه وشعرت وكأنهما زوج وزوجة.

عندما رتبت حاجياتهما، أخذت تتعرف إلى المطبخ. رأت خزانة صغيرة تحوي شيئاً من البهارات وزيت الزيتون وطاولة ومقاعد من دون ظهر تحتها.

وجدت في الثلاجة خبزاً وبيضاً وجبناً وشرائح لحمة وفاكهة وعصيراً وصودا ولبناً. ستقدّم للوك بعض اللبن فهي تشك في أن يرغب في تناول أي شيء دسم قبل الغد.

وشعرت بأنها جائعة فحضّرت لنفسها شطيرة أكلتها مع كأس من عصير البرتقال.

بعد أن انتهت من تنظيف المطبخ، ذهبت لتطمئن على لوك فوجدته لا يزال نائماً. وانحنت لتنظر إليه.

بدا رجلاً جذاباً للغاية بملامحه القوية، وشعره الأسود وبشرته السمراء.

حدقت فيه طويلاً قبل أن تسلخ نفسها عنه وتتجه إلى سطح المركب لتنتظر جيوفاني.

كانت معظم المراكب قد أبحرت فجلست على مقعد خشبي تمتّع عينيها بمنظر «فرنازا». هذا المنظر نفسه رأته من نافذة المقصورة في المركب «بكسيوني» منذ أكثر من ستة أسابيع.

لقد ملأتها الدهشة والافتتان عند رؤية البيوت المشابهة للأبراج، والقصور، والقلاع المبنيّة بين الصخور الشاهقة. حينذاك، لم تكن تعلم أن شخصاً يدعى لوك دي فالكون سيدخل حياتها.

فكرة أنه ينام في الأسفل، أرسلت رعشة في جسمها. لم ترغب في أن تكون في أي مكان غير هذا. وآلمها أن تفكر في أن هذا المكان هو على الأرجح آخر مكان يرغب هو في أن يتواجد فيه، وأنها آخر امرأة يرغب في صحبتها. سيزار هو السبب الوحيد الذي جعل لوك يفضّل قضاء نقاهته هنا بدلاً من بيته.

لكن هذا أول يوم في رحلتهما فقط وما زال أمامهما تسعة أيام. ستجعل مريضها ينسى الأخ الذي يشعر بأنه مرغم على أن يحميه منها، هي التي يعتبرها مجرد أنثى وصولية.

عندما يعود المركب إلى «فرنازا»، سيكون لوك قد وقع في غرامها وستفعل ما في وسعها لتحقق ذلك.

أمضت بضع دقائق تحت أشعة الشمس الحارة فإذا بجسدها ينضح عرقاً. وتلهفت إلى تغيير ملابسها لتسبح لبعض الوقت، لكنها الآن تريد أن تنتظر جيوفاني ليغادروا الميناء.

لم يتجه أحد نحو المركب، وقررت أن تذهب لرؤية لوك. إذا كان مستيقظاً فستأخذ رقم الهاتف منه، ثم تذهب إلى الشاطئ لتجري إتصالاتها.

وفيما هي تتجه نحو السلم سمعت من ينادي: سنيوريتا سنيوريتا.

التفتت لترى صبياً يلوّح لها من الرصيف، فاقتربت منه: «ما الأمر؟».

- لن يحضر.
- وما أدراك؟
- أنا أعرف كل شيء.
- أين جيوفاني؟

www.elromancia.com

- في «سان ريمو».
- لكننا نريده أن يقود المركب!
- لقد ولدت زوجته طفلاً.

يا للسموات! لقد تبخرت خطتها في الإبحار مع لوك.

عليها أن تفكر في خطة جديدة قبل أن يكتشف لوك الأمر ويجعلها تتصل بالهليكوبتر لتقلّهما. وسرعان ما ستجد نفسها في نيس وحيدة.

وتصوّرت لوك يقول لها: «نظراً للظروف الراهنة، أرى أن تعودي إلى نيويورك وتخططي مع «فابيو» لرحلة أخرى في الصيف القادم. ربما عندئذ، ستكون حرارة مشاعر سيزار قد بردت».

لن تسمح له بأن يرسلها وكأنها مجرد متاع. يمكنها أن تتجه إلى الشاطئ وتسأل عن شخص يحسن قيادة المراكب ويريد عملاً، إنها ستدفع له الأجر من جيبها إذا اقتضى الأمر. لكن ليس لديها ما يكفي من الوقت فقد يستيقظ لوك في أي لحظة.

ماذا تفعل؟

حسناً، ستقود المركب بنفسها فالبحر الأبيض المتوسط هادئ حالياً. لقد قادت مركب أبيها مرات عديدة، كما قادت مركب فريد عشرات المرات فلِمَ سيكون هذا صعباً عليها؟

من الأفضل أن تسرع في تنفيذ خطتها والابتعاد عن الشاطئ قبل أن يعلم لوك ما حدث فيرسلها إلى بلدها.

ومن دون أن تضيّع مزيداً من الوقت، حلّت الحبال، ثم عادت واتجهت إلى الطرف الآخر..

تفحصت المحرك الخلفي وناقل الحركة. بدا الأمر سهلاً وغير معقد.

وبعد أن جلست على المقعد، أدارت المفتاح ثم ضغطت على الزر فهدر المحرك.

ولحسن الحظ، لم تكن ثمة مراكب قريبة لكي تصطدم بها. ابتعد المركب ببطء عن الرصيف ثم ضغطت على صمام التحكم بالوقود فاندفع المركب مسرعاً، وخرج إلى عرض البحر متجاوزاً الإشارات الطافية على وجه الماء.

وكانت أفكارها تسبقها.

كانت جزيرة «إيشيا» بعد «نابوليس» جنوب شرق «فرنازا»، وكل ما عليها أن تقوم به هو أن تتجه شرقاً حتى تصل إلى «ليريسي» حيث اصطحبهن لوك وإبنا خالتيه وحيث ألقين هي وشقيقتاها بأنفسهن في المياه، هرباً من بحارة المركب.

عندما لمحت المراكب الأخرى، تجنبتها وقادت على المياه الهادئة. ما زال لوك نائماً، وهذا أمر حسن لأنه بحاجة إلى الراحة.

استرخت مستمتعة بجمال القرى المبعثرة على امتداد الساحل.

رأت أوليفيا أن وضعها هنا أفضل بكثير مما لو كانت على متن المركب «بكسيوني» فلوك لها وحدها أخيراً.

ابتسمت وهي تتذكر أول مرة رأته فيها. تخاصما بشدة حينذاك، لكنها شعرت في أعماقها ببهجة لم تعرفها في حياتها. والآن، ها هما يتخاصمان مرة أخرى.

لكنها الآن معركة حتى الموت، وكل المكاسب ستكون لها هي.

* * *

أيقظ الجوع لوك رغم الحبوب المسكّنة للألم. فتح عينيه

فأدهشته الظلمة السائدة في المكان. نظر إلى ساعته فوجدها تشير إلى الثامنة والربع. لقد نام ست ساعات. أين أوليفيا؟ كيف تركته ينام هذا الوقت كله؟

أنزل ساقه عن السرير ببطء، ثم وقف لكنه اضطر لأن يتمسك بالسرير العلوي للحظة. إما أنه يعاني من أعراض جانبية خطرة، وإما أن الرياح تعصف فتجعل المركب يتمايل في مرساه.

هل أدركت أوليفيا أن جيوفاني لن يأتي؟

إذا أدركت أنّ لوك احتال عليها، فلعلها اتصلت بسيزار ليساعدها. لم يساور لوك الشك في أنهما رحلا معاً وتركاه وحده يواجه الوضع الذي أوجده بنفسه.

تلمّس عصاه المسندة إلى الخزانة، ثم نظر من النافذة إلى الخارج متوقعاً أن يرى أنوار «فرنازا» لكنه ذهل وهو يرى المياه تحيط بالمركب. كان المركب في البحر!

من الذي يقوده؟

أولاً، أي بحار خبير سينير مصابيح المركب. وثانياً، لم يسمع أيّ صوت محرك.

ترك المقصورة متلمساً طريقه إلى السلم ليصطدم بجسم أنثوي ناعم يهبط السلم بسرعة فأوقع الاصطدام العصا من يده.

- لوك...

لاحظ قلقاً وراء دهشتها فأخذها بين ذراعيه ليثبت نفسه ويثبتها معه. كان قلبها يخفق بسرعة لم يستطع معها أن يعد الخفقات. راح قلبه يخفق أيضاً إنما ليس للسبب نفسه.

أثناء احتكاكهما القصير هذا، شعر جسده بمفاتن جسدها كلها. كانت لا تزال تحتبس حرارة شمس البحر الأبيض المتوسط التي

غابت منذ فترة. ودفن وجهه بعجز في خصلات شعرها الذهبية فوجد نفسه منتشياً برائحة عطرها.

أزعجته الأحاسيس التي تملكته إذ انتبه الجانب البدائي من طبيعة الذكر فيه، الجانب الذي أدرك أن هذه الأنثى خلقت من أجله.

لو لم تكن كاذبة مخادعة، غير قادرة على أن تخلص لأي رجل...

تركها فجأة ثم أخذ يتحسس لوحة مفاتيح النور ليضيء المكان. وقالت نائحة: «مفاتيح النور هنا إذن؟ بحثت في كل مكان ما عدا هنا».

وتناولت عصاه تعطيه إياها وكأن تلك اللحظة بين ذراعيه لم تحدث أبداً.

يا إلهي... وخطر له أنها كانت تقود المركب بنفسها. ها هو يقلل من شأنها مرة أخرى. ستكون هذه آخر مرة...

- إذا لم يكن هناك خزان احتياطي فسنصبح من دون وقود. لهذا جئت لأخبرك.

كان صوتها ثابتاً الآن لكنه لم يجدها عصبية منذ ثوانٍ. لن ينسى أبداً كيف تعلقت به في تلك اللحظة الخاطفة.

ووجد نفسه منجذباً إلى فمها المغري الذي يذكره بوردة نصف متفتحة. لكن صوتاً حذّره بأنه إذا ما بلغت به الحماقة حدّ تذوقه، فمعنى هذا أنه لم يتعلم من الحياة أهم دروسها.

- متى قررت أن تتسلمي زمام الأمور؟

- بعد ظهر هذا اليوم أخبرني صبي أن جيوفاني لن يحضر.

كان على لوك أن يشهد لها بأنها لم تتظاهر بأنها لم تفهم ما

يتحدث عنه.

- لِمَ لم يستطع الحضور؟

شبكت ذراعيها على صدرها: «أليس من المفترض أن تخبرني أنت؟ أظنك قررت أن تعيدني إلى نيويورك ناسياً إجازتي في «الريفييرا». أنت تريدني أن أرحل، اعترف بذلك».

- أعترف بأن هذا سيكون أفضل لأخي سيزار الذي أعماه التعرف إليك ونجاحه الجديد فلم يعرف حقيقة الآنسة داتشس.

ضاقت عيناها: «حقيقتي أنا؟».

- هذا صحيح. أنت من دون قلب، مادية، طموحة، مشاكسة، تفعل ما يخطر لها من دون أيّ شعور بالذنب. يمكنني أن أخبرك المزيد عن نفسك لكنني أريد أولاً أن أفتح خزان الوقود. يمكنك في هذه الأثناء أن تحضري لي عشاءً ساخناً وسأبحث أنا عن خليج صغير نمضي الليل فيه.

* * *

امرأة مشاكسة!

أخذت أوليفيا تلقي الأغراض من حولها محدثة ضجة وصخباً في ذلك المطبخ الصغير. مادية؟ من دون قلب؟ طموحة؟

لم تكن أوليفيا بحاجة إلى الكثير من الذكاء لتدرك نوعية النساء اللاتي سعين خلفه طوال السنوات التي مضت. وافترضت أنه وسيزار هدف طبيعي للنسوة الجشعات ما حوّل لوك إلى رجل بخيل ومؤذ وعديم الثقة بالجنس الآخر إلى حد أنه دفن مشاعره الطبيعية.

هذا هو السبب الذي دفع أختيها لبذل جهدهما كي تقنعاها بعدم السعي خلفه. إنها تفهم الآن. إنه في الثالثة والثلاثين من العمر، وهو أكثر قسوة وصلابة من ماكس قبل أن تدخل غرير حياته.

ولكن النسوة لسن انتهازيات كلهن، ومعظمهن يبحث عن الحب الحقيقي الدائم ويبقين مخلصات لرجل واحد.

ستثبت للوك أنها مختلفة، وبدلاً من الرد على الأذى بالأذى، ستتجاهل تعليقاته اللاذعة التي تهدف لتدميرها. عندما يدرك أن بإمكانها أن تتقبل كل ما يقول أو يفعل، وأن هذا لن يدفعها للرحيل، سيلمس نقاء قلبها. سوف تنهكه بحبها بحيث لا يجد خياراً آخر إلا مبادلتها الحب.

إنه يريد وجبة ساخنة للعشاء وهي ستقدم له ألذ وجبة يمكن تجهيزها بالمواد الموجودة بين يديها. ستحضّر له عجة من ابتكارها، و«بروشيتا» بزيت الزيتون.

إذا استطاع هو أن يلعب دور طاه فرنسي، فيمكنها هي أيضاً أن تفعل ذلك. وراهنت على أنه يظنها غير قادرة على الطهي خصوصاً في هذه الظروف. حسناً، ستثبت له العكس.

وفي ما هي تعدّ الطعام سمعت المحرّك يهدر وسرعان ما شعرت بالمركب يشقّ الماء مرة أخرى.

من حسن الحظ أنه سبق له الإبحار على متن هذا المركب فهو يعرف كيف وأين يبحر في الظلمة. وما لبثت أن أنهت إعداد الطعام فحملته إلى السطح.

كان يرتدي الملابس التي ارتداها للذهاب إلى المستشفى، فلامست ياقة القميص ذقنه النابتة السوداء، بينما شعث هواء البحر شعره الأسود. وذابت هي من الجاذبية التي تشع من مظهره.

وضعت الصينية بجانبه على المقعد المستطيل حيث يجلس فنظر إلى ما حضّرته ولم يصدق عينيه. وعندما رفع أخيراً بصره إليها ابتعدت عنه قائلة إنها ستعود حالاً، من دون أن تجرؤ على النظر

www.elromancia.com

إليه فتفضح عيناها مدى افتتانها به.

عادت إليه بعد دقيقة حاملة طعامها فسرّها أن ترى لوك قد التهم نصف طعامه ومعظم قهوته أيضاً.

- أتريد مزيداً من «البروشيتا»؟

ألقى عليها نظرة ثاقبة: «كيف تعلمت تحضير هذا؟».

- عرفت غرير أن ماكس يحب هذا الكعك، فتعلمت تحضيره في البيت وكنا، أنا وبايبر، نساعدها.

وعضت شفتها كيلا تسأله إذا ما أحب هذا الكعك هو أيضاً.

وتوقعت أن ترى بعض اللين على ملامحه بعد ما أعدّته لسموّه لكن وبدلاً من ذلك ازدادت حدّة نظراته وهو ينظر إليها: «هل لديك فكرة عن مكاننا الآن؟».

- نوعاً ما. كنت متوجهة إلى «إيشا».

- تعنين أنك انطلقت بالمركب فقط، راجية التوفيق!

- حسناً ...نعم. أعني أنني... توجهت ناحية الشرق في موازاة الشاطئ.

فرك عينيه براحتيه. كان إبحارها بالمركب من دون علمه عملاً جنونياً، لا بل خطراً، وهي تعرف ذلك لكنها كانت يائسة للغاية.

- استرخي يا لوك فنحن أحياء آمنون وقد أكلنا جيداً.

إذا لم يشأ أن يمدحها لمهارتها في الطهي فستمدح نفسها بنفسها.

رفع رأسه عابساً: «لقد انتهزت فرصة هدوء البحر فانطلقت بسرعة بحيث أفرغت أول خزان وقود. والخزان الثاني هو خزان احتياطي فقط، ولا يدوم مثله. سنكون محظوظين إذا استطعنا أن نصل حتى «مونت كريستو»».

اتسعت عيناها: «أنت تمزح، لطالما تمنيت الذهاب إلى هناك. لم أدرك أنني قدت المركب هذه المسافة كلها».

وابتسمت مسرورة، فقال: «سبق وقلت إن الحياة مجرّد لعبة كبيرة بالنسبة إليك... لكن تهوّرك كان يمكن أن يكلف حياة ركاب مركب آخر لم يرونا في الظلام».

أنهت عجتها قبل أن تجيب: «نزلت لأناديك حالما أدركت أن تحديد مكاننا قد يصبح صعباً. لا تقلق، ما كنت لأدع شيئاً يحصل لك في حالتك هذه».

- كان عليك أن تفكّري قبل أن تخاطري بحياتينا.

هذه هي! وتذكرت رحلتها المتهورة إلى «مونزا» مع سيزار. لكنها قاطعت لوك قائلة: «لقد أبحرت لأنك جعلتني أعتقد أن هذا المركب هو مركب قوي وقيّم. هذه هي كلماتك بالضبط. لو كنت تعرف وضعه منذ البداية، فهذا يعني أنك لم تخطط للقيام بهذه الرحلة. وهكذا، فالذنب ذنبك لو علقنا هنا».

لم يعبأ بإنكار اتهامها له، وشعرت بالضيق وهو ينظر إليها وكأنها طفلة سريعة الانفعال.

- لعلك ستضطرين للتجذيف كي نصل إلى برّ الأمان. في الواقع، ربما ينتهي بك الأمر للقفز من على متن المركب لتجرينا إلى الشاطئ هذا إذا حالفنا الحظ ووصلنا إلى الجزيرة قبل أن يتصاعد الدخان من المركب.

تحديقه فيها أرسل في كيانها مشاعر تحبس الأنفاس، وسمعته يردف: «أظن أن عليك أن ترتدي ثياباً عملية أكثر لمواجهة المعاناة التي تنتظرنا».

أول ما خطر في بال أوليفيا هو الدخول معه في نقاش لكن هذا

ما يريده هو لكي يجننها فتبتعد عنه نهائياً.

وقفت وأخذت تجمع الأطباق وهي تسأله: «هل تشعر بالألم؟ هل أحضر لك حبة دواء أخرى؟».

- أنا بخير حالياً.

ما كان ليعترف لو أن حالته سيئة إذ جعله الدواء يستغرق في نوم عميق ولم يدرك ما قامت به إلا بعد فوات الأوان. من الطبيعي ألّا يرغب في أن يخاطر مجدداً.

- هل ترغب في مزيد من الكابوتشينو؟

- فيما بعد.

- ربما هذا أفضل إذ سأتمكن من تدليك ساقك في الوقت نفسه.

وتوارت وهي تضحك في سرّها.

بعد أن نظفت المطبخ وارتدت ثوباً للسباحة أخضر اللون، فتحت الدرج حيث وضعت ملابس لوك ثم أخرجت قميصاً مقفلاً وإرتدته فوصل إلى منتصف فخذيها. بعدئذ، خلعت حذاءها ولبست حذاءً خفيفاً.

كانت «مونت كريستو» جزيرة صخرية غير مسكونة. إذا اضطرت لأن تقفز من المركب، فستحتاج إلى حذاء يحمي قدميها.

سمعت صوت المحرك وهي تصعد السلم. كان أشبه بالفرقعة، ثم فرقع مرة أخرى قبل أن يصمت نهائياً. وغصت بريقها فقد نفد الوقود.

لم تعجبها فكرة التجذيف لكن ما من خيار آخر أمامها. سارت إلى أحد المقاعد ورفعت أعلاه فسألها عابساً: «ماذا تفعلين؟».

- كنت أرجو أن أجد قفازاً. اعتدت التجذيف مع أبي في

النهر، وأنا أشعر مسبقاً بالفقاقيع تتكون.

- لا بد أنك ولدت تحت نجم محظوظ لأن الجزيرة تبعد حوالى أربعين ياردة من هنا.

وألقى إليها بسترة نجاة مردفاً: «إلبسيها، ثم حلّي الحبل من الناحية الأمامية للمركب واقفزي في الماء. لن يكون من الصعب أن تسحبي المركب خلفك ثم تجدي مكاناً تثبتين فيه الحبل».

فكرت في أنها تستحق أوامره هذه. كما أنه يعلم أنها سابحة ماهرة إذ رآها وهي تلقي بنفسها من المركب «بكسيوني» وتسبح مسافة أطول بكثير من هذه المسافة لتصل إلى ميناء «ليريسي».

وسألته: «ماذا عن سمك القرش؟».

هزّ رأسه: «لا أتذكر أنك قلقت لهذا من قبل».

- أخبرتني أنها تتواجد بكثرة بين «مارش» و«أبروزو» عندما كنا على المركب «بكسيوني».

- يسرني أنك تذكرت حديثنا القصير ذاك. احرصي على الانزلاق إلى الماء بهدوء. إذا رأيت إحداها فسأخبرك بأن تلقي الحبل من يدك ثم تسبحي بسرعة إلى الشاطئ.

- هذا مطمئن جداً.

كانت ليلة دافئة رغم النسيم الذي يهب من الشمال الغربي. ولو طلع قمر، لما استطاعت أن تراه بسبب الضباب الذي نزل من حولهما. في الواقع، بالكاد استطاعت أن تميز بين الماء والأرض الأشبه بظهر سلحفاة.

- أعلميني عندما تصبحين جاهزة لأشعل لك ناراً قوية تساعدك على الرؤية.

أمسكت بطرف الحبل ثم سارت إلى حافة المركب.

- أنا جاهزة...

سمعت صوتاً كالفحيح قبل أن يضيء اللهب ملامحه الوسيمة والمياه التي تحيط بالمركب. كان منظراً ساحراً.

سارت على جانب المركب ثم قفزت، وإذا بها تكتشف بسرور أن الماء لم يكن بارداً كما خشيت، وما أن طفت على الماء، حتى توجهت نحو الجزيرة. وجدت صعوبة في البداية لكنها ما لبثت أن أحرزت تقدماً.

وما أن وطأت قدماها اليابسة حتى شعرت بالسرور لأنها لم تصادف أي سمكة مفترسة تبحث عن فريسة. وسرعان ما وجدت صخرة كبيرة ربطت بها الحبل بقدر ما أمكنها من قوة ثم نادت لوك طالبة منه أن يلقي بالحبل الآخر في الماء.

وما لبثت أن سحبت المركب وربطته بإحكام آملة ألا يُفلت ويطفو على الماء بعيداً عن الشاطئ أثناء الليل.

وجودهما هنا سيحول دون اصطدامه بسفن النزهة واليخوت وناقلات النفط التي تتحرك أثناء الليل.

عندما وصلت إلى المركب، كان اللهب قد انطفأ. وأنزل لها لوك السلم، فتشبثت به ورفعت نفسها إلى أعلى.

صرخت بصوت مرتجف وقد أرسل إمساكه بها تياراً كهربائياً قوياً في كيانها: «ما كان لك أن تفعل هذا بسبب ساقك!».

عندما أبعد يديه عنها ببطء، مررهما على وركيها قبل أن يتركها قائلاً: «ما من مشكلة. وضعت ثقلي كله على ساقي السليمة».

- ومع ذلك ما كان لك أن تقوم بكل هذا الجهد فور خروجك من المستشفى. عليك أن تخلد للنوم لتريح قدميك.

وناولته عصاه ثم تبعته إلى أسفل، فأشار إلى الحمام: «استحمي

أولاً».

وكانت لهجته آمرة بحيث لم تجادله.

عندما مرت بجانبه في الممر الضيق احتك جسمها بجسمه الصلب فحبست أنفاسها لدى شعورها بحرارته، ولم تطلقها إلا بعد أن وصلت إلى المقصورة وبحثت في الدرج عن سروال قصير وقميص لتلبسهما أثناء النوم.

عند عودتها وجدت لوك قد أفسح لها الطريق تاركاً مسافة بينهما. وتأوهت في داخلها، متمنية لو أنه ما زال في طريقها لتشعر باحتكاك جسديهما مرة أخرى، وإن لفترة قصيرة.

عندما وصلت إلى الحمام وأغلقت الباب خلفها، تمسكت بالحوض حتى توقف ارتجافها. استحمت وغسلت شعرها من ماء البحر.

أخذت منشفة من على الرف ولفتها حول شعرها المبلل ثم غسلت ثوب السباحة وقميص لوك قبل أن تنشرهما ليجفا.

بعدئذ، نظّفت أسنانها قبل أن تذهب إلى المطبخ لكي تحضر للوك القهوة مرة أخرى. وعندما دخلت إلى غرفة النوم وجدت أن لوك غيّر ملابسه واستلقى على المقعد المستطيل. قدمت له فنجان القهوة فتناوله من يدها وهو يسألها: «ألن تشربي أنت؟».

- الإفراط في شرب القهوة في هذا الوقت من الليل يصيبني بالتوتر.

جلست القرفصاء فأصبحت أعينهما على المستوى نفسه، وكانت عيناه تلمعان كالفضة فسألته: «كيف أبدأ بتدليك ساقك؟ لا أريد أن أسبب لك الألم».

وقبل أن يجيبها، شرب قهوته ثم وضع الفنجان على الأرض،

وقال: «أظنني سأتناسى ذلك الليلة».

نظرت إليه بقلق: «لماذا؟ هل لأنك تتألم كثيراً؟».

تردد قليلاً وكأنه يختار كلماته بحذر: «لأنك تعبت كثيراً هذه الليلة».

حبست أنفاسها: «هل ما تعنيه هو أنني عرضت حياتنا للخطر اليوم وأنت تتمنى لو كنت بعيدة عن هنا آلاف الأميال؟».

وضع رأسه على الوسادة، لكن عينيه بقيتا عليها: «ما أتمناه ليس مهماً».

كان يخفي شعوره بالإحباط... فألحت عليه قائلة: «أنت تتألم أليس كذلك؟».

- لا. إنه مجرد انزعاج بسيط.

بدا وكأنه يعني ذلك فعلاً، لكنها لن تتأكد من صحة كلامه أبداً. وتابع: «سحب الأطباء سائلاً من أماكن مختلفة من ركبتي ما خفف الضغط. وليرحمني الله».

تفحصت آثار لعملية التي أجريت له منذ أشهر ثم عادت فرفعت عينيها إليه: «قال سيزار إنك كدت تفقد ساقك. اشكر الله على أن هذا لم يحدث».

وضع ذراعه خلف رأسه: «كنت محظوظاً للغاية. تمكن الأطباء من وصل الأعصاب المقطوعة وإعادة الدورة الدموية. والتدريب والتدليك قاما بالبقية».

- هل أنت واثق من أنك لا ترغب في أن أدلك ساقك؟

- إنّ غداً قريب بما يكفي.

هزت برأسها: «يا لها من محنة قاسية عشتها».

- كانت أسوأ بالنسبة إلى نيك.

فارتجفت: «أخبرني سيزار عن خطيبته. لا يمكن أن أتخيّل خسارة شخص أحبه، فكيف إذا كان ذلك بحادث مروّع كهذا؟».

لم يجب لوك، لكنها شعرت به ينطوي على نفسه وهو يقول: «من الأفضل ألّا نتحدث في هذا الموضوع».

- طبعاً لا. آسفة. هل ثمة ما يمكنني أن أفعله من أجلك قبل أن أخلد إلى النوم؟

- أطفئي النور.

٥ - أهي خيانة عظمى؟

مضت لحظات تبادلا خلالها الحديث من دون أن تشعر منه بأي عداء نحوها. لكن حالما أتت على ذكر سيزار حتى قام حاجز بينهما.

آلمها أن يبعدها عنه كلياً. وعندما شرعت تنهض، أفلتت منشفتها مظهرة خصلات رطبة جعدة قبل أن تسقط على الأرض. وعندما مدت يدها لتلتقطها سمعته يتمتم بكلام غير واضح.

- هل تشعر بألم؟

قال بنبرة إنذار: «أريحي نفسك يا أوليفيا».

لن يخبرها المزيد هذه الليلة. وعادت أدراجها إلى الحمام حيث علقت منشفتها، ثم اتجهت إلى المطبخ لتحضر مزيداً من المياه المعدنية والحبوب المسكّنة للألم.

- سأضع هذه على الأرض بجانب سريرك فيما لو احتجتها.

ومن دون أن تنتظر جواباً، أطفأت النور ثم تسلّقت السلم إلى السرير العلوي واندست بين الأغطية.

- لوك؟

عندما سمعت السباب الذي انطلق من فمه، أجفلت.

- ألا يمكن لدماغك هذا أن يكف عن العمل لحظة واحدة؟

- هذا غير ممكن وأنا أعلم أننا من دون وقود.

- سيحضره لنا شخص ما في النهاية.

- إلى هذا المكان المعزول؟ ماذا لو نفد الطعام منا؟

- رأيت عدة جيوفاني لصيد السمك. يمكنك أن تصطادي لنا سمكاً نأكله. إذا لم يعجبك هذا، فيمكنك أن تسبحي متى شئت إلى جزيرة «إلبا» لطلب العون.

- كم تبعد من هنا؟

- ربما ساعة؟

- ساعة...

- إذا كان هذا كثيراً عليك...

- سأقوم بذلك عند الضرورة. لكنني أظن أن علينا أولاً أن نحاول الإشارة إلى مركب مار ليقف. سنشعل ناراً أخرى لنلفت أنظارهم.

- استعملت، مع الأسف، النار الوحيدة الباقية لكي تساعدك على رؤية ما كنت تقومين به.

- كان عليك أن تحتفظ بها للطوارئ.

فقال وهو يضحك ساخراً: «هذا كلام امرأة غادرت «فرنازا» من دون خريطة أو بوصلة أو معرفة بوجهتها».

- لكنني سرت بالمركب هذه المسافة كلها، أليس كذلك؟

- لا تريدين حقاً أن أجيبك عن هذا، أليس كذلك؟

لم تجب وأخذت تسوي وسادتها.

- أنظري إلى الناحية الإيجابية يا آنسة. يمكنك أن تبحثي غداً عن كنز دفين. لن تكون رحلتك إلى الريفييرا خسارة كاملة.

- سبق ووجد الكونت دي مونت كريستو الكنز. كما أنني رأيت الفيلم وكانت أحداثه تدور في جزيرة مالطا.

- لقد زرت المكان على متن المركب «بكسيوني».

www.elromancia.com

رفعت رأسها لأنه تحدّث من دون أن تسأله. وسألته: «متى؟».

- منذ سنوات عدة.

- لا بد أنك وفابيو تعرفان بعضكما البعض منذ زمن طويل.

- كان المركب «بكسيوني» لماكس قبل أن يعطيه لفابيو.

رفعت رأسها وقالت: «يعطيه؟ أظن أنه كان لديه سبب وجيه ليتخلى عن مركب رائع كهذا».

- فعلاً. كان فابيو وعائلته يبحثون عن عمل يعتاشون منه بعد أن فقد والديه ومركب الصيد أثناء عاصفة هو جاء. ماكس صديق فابيو منذ الطفولة، وبما أنه كان يعلم أن عليه أن يعيل زوجة حاملاً وشقيقين، أعطاه المركب ليؤسس عملاً له.

اختنقت أوليفيا بمشاعرها. هل تعرف غرير هذا عن زوجها الرائع؟

- أدرك من سكوتك أن هذا النوع من الكرم مكروه لديك. ربما يدهشك أكثر إذا عرفت أن فابيو دفع لماكس ثمن المركب من عرق جبينه.

كانت قد عاهدت نفسها على عدم اللجوء إلى الكلام الجارح، فقالت: «شكراً لك على رأيك. لكن وقبل أن تطلعني على صفات ماكس الرائعة، كنت أحبه لأن أختي تحبه. لكنني أحب الآن صهري لأسباب أخرى. لقد أعطيتني هدية لا تثمن وهي تستحق أن أحتمل معاملتك السيئة».

- الأشياء المادية تهمك أكثر بكثير مما ظننت. تصرفي بشكل صحيح وستستفيدين من كرم ماكس سواء أكنت مع سيزار أم لم تكوني.

كان هذا رأياً قاسياً جعلها تثن على وسادتها. لا بد أن ثمة

طريقة للوصول إلى قلب لوك فهو لم يولد بهذه القسوة. لابد أن حدثاً مروّعاً جعله بهذه السخرية المرّة.

بايير تعرف حقيقة الأمر، لكن لا سبيل للاتصال بها.

غرير تعرف الحقيقة أيضاً، لكنها في شهر العسل. وإلى أن تعود وتخبر أوليفيا، سيستمر الوضع مع لوك على حاله، لوك المتحصّن جيداً في حصنه غير المنظور، المنطوي على نفسه فلا يتقبل الحجج المنطقية.

انقلبت على ظهرها وقد استيقظت تماماً. مشكلتها الحالية هي كيف تخرج من هذه الجزيرة قريباً؟ إذا لم يمر بهما أحد غداً ويساعدهما، فيمكنهما أن يجذفا في اليوم التالي للخروج.

سيكون من الصعب التقدّم بمجذاف واحد فقط. لكن ما من خيار آخر إلا إذا وجدت على الجزيرة ما يمكنها أن تستعمله كمجذاف آخر.

أخذت تفكر في ما لديهما من طعام، فأدركت أنه لا يكفي سوى يومين هذا إذا كانا حذرين. وقد تمر أيام عدة قبل أن يتمكّنا من التزوّد بالوقود والطعام. ستتصرف تبعاً لاقتراح لوك وتبحث عن فطورهما في الصباح.

لم تكن عديمة الخبرة بصيد السمك فقد كان والدها خبيراً بالصيد، وقد علّم بناته أو حماماته الغاليات كما اعتاد أن يدعوهن. عليها أن تستيقظ غداً مع طلوع الشمس لتثبت كم كانت تلميذة مجتهدة.

وتملكها الارتياح لهذه الخطة فتمنت أن تستسلم للنوم فلا تفكّر في النزول إلى لوك لتستمد منه المواساة. فهو سيخنقها بيديه الإثنتين، اليدين اللتين أمسكتا بخصرها في بداية هذه الليلة،

ورفعتاها إلى المركب. . . اليدين اللتين تقسم أنهما تمهلتا لحظة طويلة على جسدها المبلل. وهي لا تزال تشعر بالحرارة من دفئهما.

* * *

- ها قد أحضرت إليك الفطور في السرير.

فتح لوك عينيه ليكتشف أن الشمس أصبحت في كبد السماء. تقدمت أوليفيا منه وهي تحمل فنجان شاي في يد، وطبق طعام في اليد الأخرى.

- هل تشعر بالألم هذا الصباح؟

أغاظته بشاشتها فأجاب: «لا أشعر بأيّ ألم».

- إذا كان هذا صحيحاً فلِمَ العبوس؟ أتعلم أن العبوس يرهق عضلات الوجه أكثر من الابتسام؟

إنها أكثر النساء اللاتي عرفهن إثارة للسخط!

كانت ترتدي القميص والسروال القصير نفسيهما اللذين ارتدتهما للنوم الليلة الماضية. ومن بين النعم الكثيرة التي وهبها الله للتوائم الثلاث هي نعمة السيقان الطويلة الجميلة. وقد لاحظ لوك هذا وهي تقترب منه مستيقظة تماماً ومنتعشة للغاية.

وضعت قهوته على الأرض بقربه قائلة: «إنه يوم رائع آخر. استيقظت منذ ساعات وانتظرت علّي أرى مركباً ماراً فألوّح له، لكن الحظ لم يخدمني حتى الآن».

أسند ظهره إلى الجدار ليتمكن من أن يأخذ الصحن منها. كانت رائحة السمك المشوي الساخن تعبق من حوله. ونظر إلى الطبق فرأى الخبز المحمص الممتاز مع شرائح البرتقال وكأنه في مطعم خمس نجوم.

تناول لقمة واحدة من الطعام ثم نظر إليها قائلاً: «هل هو سمك طازج؟».

- نعم. اصطدته منذ فترة قصيرة. ثمة الكثير منه قرب الصخور. لم يعد علينا أن نخشى الموت جوعاً قبل أن تأتينا النجدة.

لو لم يكن يعلم أن المركب يفتقر إلى ثلاجة لحفظ الأسماك لما صدقها. لقد اصطادت السمك لفطورهما وأعدته كما يعده أمهر الطهاة.

- مازال لدّي المزيد. إذا أردت فيمكنك أن تناديني، لأنني سأكون في المطبخ لتنظيف المكان.

لم يستمتع برائحة من قبل كما يستمتع الآن برائحة البرتقال هذه الممتزجة برائحة السمك. حتى القهوة كانت مختلفة إذ أضافت إليها الكاكاو. أذهلته مهارتها، وأموراً كثيرة أخرى، لم يكن مستعداً للتفكير فيها حالياً.

وبعد دقائق، عادت ووقفت في الباب: «أتريد مزيداً من السمك؟».

- لا. سآكل البقية على الغداء.

- سأقوم بتدليك ساقك حتى وإن اعترضت.

كان قد شعر بتوتر في عضلاته الليلة الماضية، لكنه سيشعر بالتحسن بعد التدليك. انبطح بحيث أصبحت ساقه المصابة هي الأقرب إليها فجلست على المقعد المستطيل فداعبت أنفه رائحة الصابون المعطر الذي استعملته.

- هيا، أنا جاهزة لتعليماتك.

- ابدأي من قدمي صعوداً حتى ربلة الساق.

www.elromancia.com

كانت لمساتها غريزية، وأخذ يشعر بالاسترخاء.

- كيف ترى عملي؟

خاف أن يخبرها. ولم يجرؤ على الإعتراف بالحقيقة حتى لنفسه: «إذا ما قدّمت هذه الخدمة لسيزار قبل السباق، فيمكنني إذن أن أفهم لما يرغب في استعادتك».

- سأعتبر هذا مديحاً.

خيب جوابها اللبق أمله بينما تابعت هي تقول: «هل تريدني أن أدلك رقبتك وكتفيك أيضاً؟».

لعلها كانت تفعل هذا وأكثر لأخيه. وحبس أنفاسه وهو يقول: «تابعي ما تفعلينه دقيقة أخرى فقط ولن أحتاج إلى جلسة أخرى إلا قبل النوم».

- ماذا عن علاجك بالماء؟

- سأسبح قليلاً بعد أن أهضم غدائي.

- سنسبح معاً. يمكنك في هذه الأثناء أن تقرأ الرواية التي أحضرتها معي بينما أبحث أنا عن الكنز.

رفع رأسه: «الكنز المدفون في كهف «مونتو كريستو» لن تجديه إلا في ذهن دوماس. ظننتك تخليت عن هذه الفكرة».

- ألست أنت من أخبرني بأن ليس كل ما يلمع ذهب؟

ولامسته بيدها مرة أخيرة وهي تردف: «ربما سأجد كنزاً لا يرى على الفور بالعين المجردة».

شعر بالضيق وهي تقف منهية هذه الدقائق القليلة من التماسّ السار: «فهمت من غرير أن الجزيرة ليست كبيرة وقد لا أغيب أكثر من ساعتين. يمكنك أثناء غيابي أن تستحم ثم تقرأ. تركت الكتاب على حزانة الأدراج».

لم تكن أوليفيا تتصرّف من دون تخطيط مسبق، فما الذي تنوي أن تفعله الآن؟ وتمتم وهي تهم بالمغادرة: «حظاً سعيداً يا صائدة الأزواج».

وقفت عند العتبة وقالت: «شكراً. لعلي أصادف حبيباً يلقي بنفسه من يخته من أجلي».

وعندما توارت، نزل من سريره ثم سار إلى النافذة ليراقب الوضع.

بعد دقيقة رآها تسبح نحو الشاطئ. أمضت بعض الوقت تتفحص الحبال قبل أن تبدأ جولتها في أنحاء الجزيرة الموحشة.

بدأ لوك يدرك أن هذه المرأة تأخذ دوماً زمام المبادرة ما يجعلها تصنع قدرها بنفسها. لا شيء يقهرها!

ربما كان ليعجب بشجاعتها هذه لو لم يعلم أنها جازفت بحياتها لكي تتفرج على سباق سيزار منذ ساعات.

شعر شقيقه بالغرور عندما علم أنه السبب الوحيد الذي جعلها تأتي إلى «موناكو»... وأنها تركت حبيبها الأميركي من أجله... فلا عجب في أنه لم ير من خلال ذلك خطتها الأساسية.

كانت خطة ذكية منها أن تهرب بعد فوزه في السباق، متظاهرة بأنها حقاً لا تهتم به، إذ قامت بالشيء الوحيد المضمون لكي تجعله يركع على ركبتيه.

أوليفيا داتشس العديمة الأخلاق والرائعة الجمال هي زوجة مثالية لشقيق لوك الساحر، العديم الأخلاق أيضاً.

ما من حد لطموحها، كما سيكتشف سيزار ذات يوم. وتمنى لهما لوك أن يستمتعا ببعضهما البعض.

لكنهما علقا في مونت كريستو، ولم تعد قادرة على سحر أحد

إذ ما من أحد في العالم يعرف مكانها سوى لوك.

ما داما في عزلة تامة هنا، لعله من الممتع أن يرى مدى احتمالها لهذا الوضع الطارئ قبل أن تبدأ بالانهيار. لكل إنسان قدرة معينة على الاحتمال، وكان لوك يحب أن يعلم مدى قدرتها احتمالها.

تملكه الفضول لمعرفة إن كان سيزار في أثرهما، فعاد إلى سريره ومد يده إلى كيس المخدة ليخرج هاتفه الخلوي. ولم يدهشه أن يرى قائمة بأسماء المتصلين التي تضمنت اسم كل من يعرفهم ما عدا أخيه.

استغل فرصة غياب أوليفيا واتصل بنيك.

- لوك؟ كم أشعر بالراحة لاتصالك. كيف حال ساقك؟

- لا يمكن أن تكون أحسن مما هي عليه الآن. ما هو الدافع الحقيقي وراء اتصالاتك؟

- اتصل ماكس ليسأل إن كنت أعرف مكان أوليفيا. ظننتها في «مونزا» مع سيزار لكنه قال إنها رحلت بعد السباق لكي تراك. بعدئذ، علمت أن غرير تحدّثت إليها في بيتك ليلة الأول من أمس. ما الذي يحدث؟

ليلة الأول من أمس سمع لوك أوليفيا وهي تحاول أن تتصل بأختها بايبر في جنوى، وهذا يعني أن أول اتصال كان من غرير وليس من سيزار. لِمَ كذبت أوليفيا؟

وعاد نيك يقول: «غرير وبايبر منزعجتان للغاية لأنهما لم تسمعا منها أيّ خبر. إذا كنت تعرف مكانها، فأخبرها بأن تتصل بشقيقتيها لكي ترتاحا فماكس يود أن يستمتع بشهر عسله».

عض لوك على شفته ثم قال: «إنها تلعب حالياً لعبة خطرة

للغاية».

- ماذا تعني؟

ألقى لوك نظرة إلى الخارج فلم يجد أي أثر لأوليفيا. قال: «كم لديك من الوقت؟».

* * *

- مر نصف ساعة على تناولنا الغداء، وقد حان وقت علاجك بالماء.

بعد أن أنهى لوك طعامه، جلس في الشمس ليقرأ، طارداً أوليفيا من فكره تماماً.

عند عودتها من استكشاف معالم الجزيرة، وجدت أنه تغير. لم تستطع أن تحدد ماهية التغيير لكنه بدا أقل مودة، ولم يدهشها هذا كثيراً.

لعل ساقه تؤلمه وهو لا يريدها أن تعلم.

ربما ستفيده السباحة لكن المشكلة في نزوله من المركب من دون حادث.

وقفت أوليفيا ثم خلعت قميصها المقفل الذي كانت ترتديه لكي تحمي كتفيها من حرارة الشمس.

سارت إليه وأخذت الكتاب من بين يديه. وحين بان الغضب على ملامحه وضاقت عيناه وهو ينظر إليها، أدرك أن الأوان قد فات.

وقف وأخذ يخلع قميصه فيما وضعت الكتاب على الكرسي المستطيل. كان جمال قامته غير عادي. وتحولت رغبتها في لمسه إلى حاجة ملحة، لكنه خلع قميصه بسرعة ما حرمها بهجة ملامسته.

وقبل أن تتمكن من التقاط أنفاسها، قفز من المركب إلى الماء

فقفزت خلفه وأخذت تسبح حوله.

كانت الشمس قد أدفأت جسمه الأسمر، فتألقت عيناه الفضيتان. وأخذ الماء يسيل من شعره المبلل وقطرات الماء تلمع على حاجبيه الأسودين وأهدابه، فبدا مثالاً للرجل الوسيم.

حوّلت أوليفيا نظرها عنه وقد وخزها الألم.

وعندما تمالكت نفسها، سبحت نحوه: «إذا استلقيت على ظهرك وتركتني أسند رأسك وكتفيك فستتمكن من أن تدرّب ساقك كما يحلو لك».

- منذ متى أصبحت خبيرة في العلاج الطبيعي؟

جاهدت لئلا تواجهه بالحقد نفسه، وقالت: «في المراحل الأولى من مرض أمي بالسرطان، كانت تستمتع بالسباحة إذا ما ساعدناها. كانت تتعب بسهولة».

أثناء الصمت الذي تبع، استطاعت أن تشعر بأنه يحاول استيعاب كلامها. بعدئذ، ومن دون الحاجة لأن تضيف المزيد، انقلب على ظهره وكأنه يشير إليها بأن تساعده.

وضعت يديها تحت إبطيه وأسندته راجية ألّا يشعر بارتجافها بينما راح هو يحرك ذراعيه وساقيه. واستطاعت أن تدفن وجهها في شعره من دون أن يدرك أنها في حالة نشوة.

سألته، محاولة أن تجعل صوتها ثابتاً: «هل كان التزلج رياضتك المفضلة؟»

- كان إحداها.

- هل ستتمكن من التزلج حالما يسمح لك الطبيب بذلك؟

- لن يسمح بذلك أبداً.

- حسب معرفتي بك، قد ينتهي بك الأمر بأن تصبح بطل العالم

في السباحة.

وفي طرفة عين، قفز من بين ذراعيها قائلاً: «أنت لا تعرفين عني شيئاً».

جاهدت لتتجنب المرارة في اتهامه لها وهي تقول: «بل أعرف، فالرغم من أنك كدت تفقد ساقك في ذلك الحادث، أخبرني سيزار أنك قدمت المعونة إلى عدد من المتزلجين وأبقيتهم أحياء حتى وصول الإسعاف. عملك ذلك أنقذ حياتهم... وهذا النوع من البطولة نادر».

بدا في عينيه شعور لم تستطع أن تفهمه: «لكني لم أستطع أن أنقذ حياة «نانا» ».

- بحسب سيزار، لم يستطع أحد أن ينقذ حياة خطيبة نيك. وأخوك الأصغر يشعر نحوك برهبة بالغة.

خيل إليها أن وجهه شحب ثم قال: «إذن، نحن لا نتكلم عن الشخص نفسه».

وسرعان ما سبح إلى مكان أكثر عمقاً، تاركاً إياها تحاول فهم معنى كلماته.

شعرت بثقل تلك الكلمات وهي تتوجه نحو المركب ثم تصعد السلم وقد فقد النهار سحره. أدركت أن شيئاً مروعاً فرّق بين الشقيقين.

هذا يفسر سبب تهيب سيزار من أخيه رغم شعوره نحوه بعبادة الأبطال.

وفي مكان ما وسط هذا كله، كانت هي... أوليفيا. حطمها أن يصل أخوان رائعان إلى هذا الطريق المسدود المروّع في حياتهما. فرغم أن شقيقتيها تزعجانها أحياناً، لكنها لا تستطيع أن

تتصور نفسها متخاصمة معهما. وإذا حدث ذلك فالحياة لا تستحق أن تعاش. ولا عجب في أن لوك وأخاه يتألمان.

وبما أنها لم تستطع الجلوس في المركب وهي تتألم من جراء هذه الأمور التي لا تستطيع أن تفهمها عن الأخوين وعلاقتهما المعقدة، قررت أن تبدأ العمل على آخر مشروع لديها.

لبست قميص لوك المقفل ثم تناولت قميصاً آخر من قمصانها المقفلة، وسارت نحو الشاطئ تبحث عن صخور. وجدت أنواعاً عديدة باللونين الأحمر والوردي متناثرة في أنحاء الجزيرة، فأمضت ساعتين في جمعها وجعلها كومة ضخمة صرّتها بقميصها ونزلت بها إلى الشاطئ لتغسلها.

إذا صبغت فستصبح جميلة للغاية.

وتملكتها الدهشة وهي ترى الشمس تقترب من الغروب، لقد غابت أكثر مما توقّعت.

عندما رآها لوك على السلم وضع الكتاب جانباً ثم تناول منها الصرّة بينما تسلقت بقية السلم إلى سطح المركب.

أخذ يرفع الصرة وكأنه يحاول أن يتكهن بمحتوياتها وقد عادت إلى شفتيه تلك البسمة الساخرة: «ماذا لدينا هنا؟».

- كنز. أتريد أن تلقي نظرة؟

وأخذت منه الصرة ووضعتها على المقعد لتفتحها. فحدّق إلى المحتويات وقال: «لا أرى سوى الحجارة».

- إن نفسيتك من التعب بحيث لا ترى الجمال فيها.

شعرت بجسمه يتصلب فابتهجت لأنها لمست منه وتراً حساساً. حان الوقت لتفوز بجولة في معركة نيل حبه.

وقالت: «إعلم أني سأبدأ بهذه عملاً جديداً».

- وماذا حدث لعملك في التقاويم؟

- كانت تلك فكرة غرير، بايبر هي الفنانة، فقررت أن أعمل بمفردي من باب التغيير.

- هذه الأحجار أكبر من أن تصلح كقلادات للعنق.

تجاوزت كلامه: «ليست قلادات بل مثقّلة توضع على الورق لئلا يتناثر. إنها هدية ممتازة لزبون ذكي مدرك».

أطلق قهقهة عميقة، فقالت: «إضحك الآن، لكنني، يوماً ما، سأضحك وأنا في طريقي إلى المصرف».

فقال ساخراً: «أترجين جمع ثروة من هذه؟».

- أنا واثقة من ذلك.

- لِمَ تزعجين نفسك ما دام أمير «موناكو» مستعداً لإغراقك بالهدايا؟

- أفضل الزواج عن حب، وكسب أموالي بنفسي.

وضع يديه على وركيه: «لكن كيف ستجعلين الناس يشترون حجارتك؟».

- لو كان لديك أي خيال، لما طرحت هذا السؤال.

- خيال...

جعل هذه الكلمة تبدو شيطانية، فقالت: «الإعلان الذي سأضعه هو «استمتعوا بقطعة من التاريخ الحديث، بقطعة من جزيرة الكونت دي مونت كريستو». في كل قطعة تعيش أسطورة رجلين «الأب فاريا» الذي يحب الله، و«إدموند دانتز» الذي يحب الإنتقام. أتمنى ألّا ينقذونا قبل الغد لأنني أريد أن أجمع أكبر قدر ممكن من الاحجار».

- ظننتك حريصة على الذهاب إلى «إيشا».

www.elromancia.com

- وأنا كذلك فعلاً، لكن تأخر يومين أو أكثر لا يهم.

- ماذا لو رحل الأمير قبل وصولنا؟

ابتسمت وهي تتمطى: «سنحاول أن نكتشف وجهته. هذه الرحلة أصبحت أحسن بكثير مما كنت أرجوه. أنا مسرورة لأن مركب «فابيو» فاتنا. لو ذهبنا معه لما جئنا إلى هنا، ولما اكتشفت هذا الذي سيفيدني مستقبلاً».

قطب وسأل: «ألست تستبقين الأمور؟ قد تتحول هذه الأحجار إلى ثقل حول رقبتك».

فهزت رأسها: «كلا. أنا أشعر بالنجاح في عظامي. لقد جعلني هذا أجوع. ماذا تريد للعشاء؟».

- اقترحي أنت.

- هل تريد الطعام على سطح المركب أم في المقصورة؟

- في المقصورة.

تملكها الارتياح وهي ترى أن المزاج السيء الذي كان مسيطراً عليه تبدد، وتوجهت إلى المطبخ مصممة على أنها ستحاول أن تكتشف سرّه في أقرب وقت.

وبعد نصف ساعة كان العشاء جاهزاً.

قالت له وهي تتناول الفاكهة: «حدثني عن الرجال الآليين الذين تصنعهم. إذا احضرنا واحداً إلى هنا فهل يمكنه أن يجمع الأحجار الصخرية بدلاً مني؟».

أخذ جرعة من العصير: «ما أصنعه الآن هو سيارة من دون سائق، قادرة على الدخول إلى منطقة حربية. إذا أردت عاملاً، فقد صنع اليابانيون رجالاً آليين يقومون بمختلف الأعمال».

خلب ذلك لبها فمالت إليه: «أحب أن أعرف المزيد عن

اختراعاتك. منذ متى تعمل في هذا المجال؟».

- عندما كنت في جامعة «بارما» منذ سنوات، صممت مركبة ذكية يمكنها السير من دون سائق في زحمة سير حقيقية.

- ما المسافة التي يمكن لسيارتك أن تقطعها.

- تقطع ألفي ميل.

- من دون حوادث؟

- أبداً.

هزت رأسها: «هذا لا يصدَّق! أنا متلهفة لرؤيتها، لرؤية سيارة تسير من دون آلة تحكّم».

- هذا وصف جيد لها.

- ما الذي جعلك تعمل في ذلك الجانب من الهندسة.

- نشأت وأنا أقرأ عن الخيال العلمي وأتصور نفسي وأنا ابتكر عالماً من الرجال الآليين يمثل لأوامري.

- بما أن سيزار كان يحلم بقيادة السيارات السريعة، يبدو أنه لم يشاركك اهتماماتك.

جاء تعليقها هذا كزلة لسان لأن متعة التفاعل مع لوك جعلتها تنسى مدى استخفافه بها. لكن مجرد ذكر سيزار أعاد التوتر.

- لِمَ كلما أتيت على ذكر سيزار، يبدو عليك وكأنني اقترفت الخيانة العظمى؟

وعندما رفض أن يجيبها، هتف هاتف في داخلها: هل تفضلين الحديث عن السبب الذي يجعلك واثقة من أنه لا يعبد الأرض التي تسيرين عليها؟.

www.elromancia.com

٦ - على خطى السارق

إخترقت عيناه عينيها كالليزر: «أتذهبين دوماً إلى حيث تخشى الملائكة أن تدخل؟».

- لو سألت شقيقتيّ لأجابتا نعم.

- إذا كنت بهذا الفضول فلِمَ لا تسألين سيزار حين ترينه في المرة المقبلة؟

- أتعني أنك تأذن لي بذلك؟

- إذا قلت «لا» فهل سيمنعك هذا من رؤيته؟

تركت سؤاله معلقاً في الجو ثم نهضت تنظف المائدة، وهي تقول: «هل مرارتك هذه ميزة متوارثة لدى آل فالكون، أم أن ثمة مأساة حولتك إلى ما أنت عليه».

قال كلاماً غير واضح أثناء غسلها الأطباق وترتيب المطبخ. وعندما وصلت إلى الباب التفتت إليه: «أتريدني أن أدلك ساقك قبل أن أنام؟».

- مرّنتها بما يكفي لهذا النهار.

- هل أصعد إلى أعلى لأحضر لك كتابك؟

- أنهيته.

أغمضت عينيها لحظة، بشدة: «هذا حسن. سأصعد لأحضر كتاباً أقرأه قبل النوم. أتريد شيئاً من الأعلى؟».

- كلا.

ظنت أوليفيا أنها ستحتمل أي حديث منه مهما كان سيئاً أو قاسياً! لكنها كانت مخطئة، فملاحظاته الكريهة تقتلها ببطء.

يا له من رجل سيء... سيء! كم تود لو ترميه بشيء...

- إذن، تصبح على خير.

دخلت الحمام لتنظف أسنانها. وكان لا يزال جالساً إلى المائدة عندما مرت به لتصعد السلم.

إذا كان يحب العزلة إلى هذا الحد، فستمنحه ما يريد... رغم اهتمامها البالغ به.

كان الضباب هذه الليلة أكثر كثافة منه الليلة الماضية، والغيوم التي رأتها في الأفق تحركت بسرعة أكبر مما تصورت. وسرّها أن المركب مربوط حالياً بالحبال إلى صخور الجزيرة لأنّ الرؤية معدومة.

جلست بجانب المصباح لتقرأ لكنها عجزت عن التركيز. إلّا أنها صممت على البقاء بعيداً عن لوك حتى يذهب إلى سريره ويستغرق في النوم.

وبعد ساعة لاحظت أن الضباب ازداد وانخفضت درجة الحرارة. وبعد دقائق شعرت بهطول قطرات من المطر فوقفت، حاملة كتابها، واتجهت إلى السلم. وما أن اجتازت المطبخ حتى خفتت الأنوار قبل أن تنطفئ كلياً. هذا عظيم!

ولا بد أن لوك سمع صيحتها لأنه ناداها: «هل أطفأت الأنوار؟».

- لا.

- لا بد أن المطر قطع بعض الأسلاك الكهربائية. سألقي نظرة عليها في الصباح. هل أنت بحاجة للمساعدة للوصول إلى سريرك؟

كان الظلام حالكاً. لكنها أجابت: «لا. استمر فقط في التحدّث إليّ. سأتبع الصوت».

- لا تتحركي. ثمة ضوء محمول في الخزانة سأحضره.

لكن أوليفيا تجاهلته واندفعت نحو السلم. وفيما نزل هو من سريره، كانت هي قد صعدت إلى سريرها وأصبحت تحت الأغطية.

- أوليفيا؟

كان التحذير في صوته ساراً للغاية إذ أثبت أنه ليس عديم الاهتمام بها.

- أنا نائمة هنا.

عاد يشتم باللغة الفرنسية: «ابقي مكانك إذن. لن أتأخر».

فقالت متوسلة: «أرجوك ألّا تشغل نفسك بالضوء الليلة. إذا وقعت وآذيت نفسك، فلن أسامح نفسي أبداً لأني السبب في مجيئنا إلى هنا. وضعنا هذا ذنبي أنا».

وارتجف صوتها فقال: «في حالة استمرار هطول المطر، عليّ أن أغلق الأبواب لئلا يغرق المطر المركب».

- سأفعل أنا هذا. اذهب أنت إلى فراشك.

- بالله عليك، ألا يمكنك مرة في حياة المتعة التي تعيشينها أن تفكري في شخص آخر غير نفسك وتفعلي ما تؤمرين به؟

حياة المتعة؟ هل يراها حقاً امرأة تلاحق متعتها، من دون اهتمام أو شعور بالذنب تجاه أي شخص آخر؟

استلقت في سريرها مجروحة معذبة وقد تملكها السخط مجدداً، وراحت تسأل الله أن يعيده إلى فراشه سالماً. وحالما سمعته يدخل الغرفة وينام في سريره، مالت نحوه وقالت: «أنت

محق يا لوك، أنا لست من النساء اللاتي يخلصن لرجل واحد. أنا أحب الرجال أكثر مما ينبغي. كنت أظنني أحب «فريد» ثم عرفت سيزار. وقد استمتعت بوقتي فترة، ثم وجدت نفسي منجذبة إلى الميكانيكي الذي أراد أن يمضي وقتاً معي بعد السباق».

- إتيان؟

- لا أذكر إسمه، إنه صاحب الشعر الأشقر مثل شعر «فابيو»، فهو هو إذن.

- إنه متزوج ولديه ثلاثة أولاد.

- عرفت ذلك من أحد الميكانيكيين. مهما كان ظنك بي، إلّا أني لا أتورط مع رجال متزوجين. وهكذا، كنت أفكر في... فينا.

- فينا؟

نطق بالكلمة بنعومة فأخذ قلبها يخفق بقوة حتى كادت تختنق من الانفعال: «نعم. أنت وأنا. ما دام سيزار يعلم أنني لجأت إليك، وبما أننا لن نذهب على الأرجح إلى «إيشا»، فما رأيك في اغتنام فرصة وضعنا هذا؟».

- أنت تعنين أنك قررت أنك منجذبة إليّ الآن؟

لم تجبه بل نزلت السلم وقلبها يخفق بقوة.

كانت هذه أكبر مغامرة في حياتها. لكن إذا استطاعت أن تجعله يعانقها فقط فقد ينهار بما يكفي ليعترف لها بأنه يحبها. لقد انتهت غرير بعرض الزواج على ماكس، وهي ستفعل الشيء نفسه مع لوك. ستعترف له بأنها تحبه للغاية وتريد أن تتزوجه إذا كان يريدها. ومهما كان ماضيه، فسيعالجان الأمر معاً.

شجعها الظلام، ولم تستطع أن ترى ملامحه.

www.elromancia.com

حدثها هاتف بأن الألم ليس ما جعله يحبس أنفاسه حين لمسته. شعرت بأعلى ذراعه حارة عندما لمستها.

وعندما اقتربت منه أخذت تستنشق رائحة رجولة. مالت عليه ولمست صدره المكسوّ بالشعر. كم تمنت أن تفعل هذا ومنذ وقت طويل... طويل.

لم يحاول أن يلمسها بدوره، ولم يكن لديها أيّ مانع. فهو يمثّل تحدياً لها منذ البداية. أشبه بحصان لم يعرف حبلاً حول رقبته قط.

ترويضه يتطلب وقتاً وصبراً لكنها ستربح المعركة. حتى الحصان الأصيل يضعف في مواجهة التودد والحنان.

شرعت تدلك كتفيه، مبدية إعجابها بعرضهما وقوتهما. وهمست: «ألا تشعر بتحسن؟».

أكملت: «أعشق كل ما فيك يا لوك دي فالكون».

ودفنت وجهها في شعره الأسود ووجدت متعة في تقبيله.

وابتسمت قبل أن تلامس أنفه الذي يشبه أنف الصقر ويعكس أصله الأرستقراطي فيميزه عن غيره من الرجال.

قالت وهي لا تزال راكعة على ركبتيها إلى جانب السرير: «أنت أكثر الرجال الذين عرفتهم جاذبية».

وعندما تحسست أثراً لجرح بجانب فمه، قالت: «لم أكن أعرف أن لديك ندبة صغيرة هنا. إنها غير مرئية لكنها تخبرني بشيء عنك، حتى لو لم تخبرني أنت».

كانت أوليفيا تتبع غريزتها بعد أن فقدت القدرة على التحكم بنفسها... كل ما كانت تعرفه هو أن مشاعرها تدفعها للتهوّر.

وعندما شعرت بذراعيه حولها. هتفت: «وأخيراً... لقد

انتظرت طويلاً...».

ونسيت أين هي. الوقت... المكان... ولم يعد يهمها سوى هذا الرجل الذي تحب بشكل بعيد عن التعقل.

وفجأة، أبعدها. كانت من الانفعال بحيث لم تدرك على الفور ما إذا آلمته.

- سامحني إذا ما آلمتك. لم أكن أقصد...

أجاب بصوت خال من المشاعر: «لا أشعر بأيّ ألم».

لم تستطع، في الظلام، أن تتكهن بما يفكر فيه لكنها شعرت بتغيير مذهل فيه، وأخذ قلبها يخفق بقوة.

- ما الذي حدث؟

- انتهى وقت اللعب.

ترنحت وقالت: «لا أفهم».

- بل تفهمين. امرأة مثلك لا تريد أن تفهم الإشارة. أنا لا أتذكر أنني دعوتك لكنك وبسبب ماضيك، افترضت أنك ستكونين موضع ترحيب. اعلمي أنّ فكرة أن أتورط مع آخر حبيبات أخي أمرضتني. لا أدري كيف يمكنني أن أنظف من ذلك.

شعرت وكأن ألف سكين أغمدت في قلبها وكبحت دموعاً حارقة هددت بالانهمار.

- وأنا أيضاً لا أدري لما لم تبعدني عنك منذ البداية.

- يجب أن أعترف بأنني شعرت بالفضول وأردت أن أرى ما إذا كان لديك ضمير في جسمك الجميل هذا، ضمير يمنعك عن الاستمرار قبل أن أمنعك أنا.

انحبست أنفاسها: «لاحظت أنك انتظرت حتى بادلتني العناق».

- كانت الخطة هي الإستمتاع بتذوق القليل من سلة امتدت إليها

www.elromancia.com

الأيدي. عندما أقرر المضي حتى النهاية، فسأقطف أحلى حبة فاكهة من الشجرة وأبتلعها كلها.

كانت شقيقتاها قد حذرتاها من أن لوك ليس كغيره من الرجال وهما محقتان. لا يمكن أن تحارب من دون مزيد من المعلومات أولاً. لكن... لكنه تجاوب معها. لم يكن ليعانقها بمثل هذا العنف المدمر إذا كان يشمئز منها بذلك الشكل، ولما كان تركها تصل معه إلى هذا الحد.

ما تحتاج إليه هو المعلومات، ذلك النوع من المعلومات الذي لا يمكن أن يقدمه سوى شخص مقرّب جداً... هذا إذا شاء...

عادت إلى فراشها حيث أمضت بقية الليل معذبة متكورة تحت الأغطية تضع خطتها الجديدة.

مع انبلاج الصبح هدأت العاصفة، وتوقف المطر.

وما إن تسللت خيوط الفجر إلى المقصورة حتى نزلت من السرير بهدوء. كان لوك مستغرقاً في النوم كما بدا لها من تنفسه.

كان من الضروري أن يبقى نائماً طويلاً بما أنها تنوي أن تفلت الحبال ثم تبدأ بالتجذيف نحو اليابسة بعيداً عن الجزر. لقد أوقعهما تسرعها في هذه الورطة وهي ستعتمد على براعتها لإخراجهما منها، علّ خطتها الأخيرة تنجح.

سارت إلى الحمام على أطراف أصابعها. وبعد أن ارتدت ثوب السباحة والقميص المقفل فوقه ثم انتعلت حذاءها الخفيف فتحت الباب بهدوء، وخرجت إلى السطح الرطب بسبب عاصفة الأمس. على أيّ حال، خفّ الضباب بما يكفي لكي تستطيع الرؤية.

فكت الحبال في دقائق ثم عادت إلى المركب وأخذت تجذف بسرعة بالغة. وعندما لم تعد تلمس القاع، أخذت تجذف من

الناحيتين بالتناوب.

وبعد عشر دقائق، شعرت بكل عضلة فيها تؤلمها لكن تصميمها على تنفيذ خطتها الجديدة أخذ يدفعها. ورغم أن التقدم بطيء إلّا أن الجزيرة كادت تغيب عن النظر، وهذا يبشر بالنجاح.

استراحت لدقيقتين عادت بعدهما إلى عملها المرهق. وبعد نصف ساعة، شعرت بالإرهاق فجلست تلتقط أنفاسها وإذا بها تسمع صوت محرك إلى اليسار، وسرعان ما رأت طائرة خفيفة تطير فوق الماء.

أخذت أوليفيا تقفز وتلوّح بذراعيها.

طارت الطائرة بشكل دائري ثم هبطت على الماء ودنت من القارب. بعدئذ، قفز رجل منها ثم راح يسبح نحو المركب «غابيانو». وعندما وصل إليه وتسلّق السلم، صرخت بدهشة: «نيك؟ ما الذي جاء بك إلى هنا؟ كيف عرفت أننا في مشكلة؟».

كانت ابتسامته الآسرة مألوفة بشكل مطمئن: «نسي «جيوفاني» أن يخبر «فابيو» أن الأسلاك تبتلّ ما يجعل النور ينطفئ».

قالت: «اكتشفنا ذلك الليلة الماضية».

- اتصل «بفابيو» لأنه كان قلقاً من أن تدركما العاصفة فاتصل بي «فابيو» بدوره. قال أحد الأولاد في الميناء إنه رآكما تتجهان شرقاً. وبما أنكن كنتن مخلوبات بتاريخ «مونت كريستو» أثناء رحلتكن الأولى، تصورت أن هذا هو مقصدكما فقلت للطيار أن يتحقق من هذه المنطقة أولاً.

- مررنا أنا ولوك بهذه المنطقة مصادفة. وقد تلاشى الافتتان فهي مجرد كومة من الصخور.

ضحك وسألها: «أين ابن خالتي؟».

- أنا هنا.

كان هذا صوت لوك العميق. نظرت أوليفيا من فوق كتفها فوجدت نفسها هدفاً لتحديقه الغامض: «السؤال هو، ما الذي نفعله هنا وسط البحر الأبيض المتوسط في مثل هذا الوقت؟».

شبك نيك ذراعيه على صدره وأخذ ينظر إليها متأملاً: «وجدت الآنسة أوليفيا تجذف بكل قواها بمجذاف واحد وهو عمل مجهد تماماً حتى بالنسبة إلى بحار بضعف قوتها وحجمها».

- كنت أبحث عن مساعدة.

وقف لوك هناك مرتدياً سروالاً قصيراً، مشعث الشعر، غير حليق الذقن. ورغم مظهره الكريه، خيل إليها أنها لم تر في حياتها رجلاً بمثل جاذبيته.

بعد أن عرفت معنى عناقه ولو للحظة قصيرة، لن تعود كما كانت أبداً. لكن عبوسه ذكرها بأنها بعيدة للغاية عن أيّ نصر وقالت: «حسناً، لا يمكننا أن نجلس على جزيرة «مونت كريستو» ونستسلم».

فقال نيك: «سأحضر حبلاً نسحب به المركب عائدين إلى «فرنازا» لإصلاح العطل الكهربائي».

فابتسمت له أوليفيا: «لم أركب طيارة برمائية قط من قبل. هل ستركب معك؟».

- طبعاً.

- هذا عظيم.

وتجاهلت لوك ثم قفزت إلى الماء لتهرب منه.

في غضون دقائق، كانت تجلس هي ولوك خلف الطيار ونيك، بينما الطائرة تنزلق على سطح الماء ساحبة خلفها المركب. وبينما

راحت أوليفيا تشرب قهوتها الساخنة، نظر نيك إليها من فوق كتفه: «بماذا تفكرين؟».

لا شك أنه شعر بتوتر ينبعث من لوك وهو يحاول جهده أن يخفف منه.

- منذ سنوات لم أشعر بمثل هذه البهجة. أشعر وكأنني في «ديزني لاند» في إحدى رحلات الاطفال.

انفجر الرجلان ضاحكين بينما تابعت هي تقول: «هذه هي الطريقة الوحيدة لرؤية «الريفييرا». ما الأجر الذي تطلبه لكي ترافقني في رحلة مدتها عشرة أيام؟».

تمتم لوك: «أكثر مما تستطيعين دفعه على الإطلاق».

لم تستطع أن تفهم سبب مزاجه العابس، فقد تم إنقاذهما وهو الآن على وشك الخلاص منها. ماذا يريد أكثر من ذلك؟

- عندما أكوّن مستقبلي وأجمع ثروتي، سأتمكّن من أن أشتري أي شيء. في الواقع، أفكر في أخذ دروس في قيادة الطائرات وبذلك يمكنني أن أفعل كل شيء بنفسي.

- عليك أن تبيعي الكثير من الحجارة أولاً.

- إن تشجيعك لشخص لم يولد وفي فمه ملعقة من ذهب هو مفخرة لك.

وخلال ما تبقّى رحلة العودة، اعتبرت أوليفيا أن لوك لم يعد معها وفضلت تركيز اهتمامها على الساحل الرائع.

أخذ الطيار يقترب من المرفأ، ثم توقف بعد أن أوصل المركب إلى الرصيف الممتد في البحر.

كانت أوليفيا أول من ترك مقعده ثم قالت لنيك: «نيك... على لوك ألّا يستعمل ساقه بعد الآن فقد أجهدها الليلة الماضية.

سأصعد إلى المركب لأحزم أمتعتنا».

ذكرت لوك بتلك اللحظات التي يريد أن ينساها عن عمد، راجية أن يعذبه ذلك.

وتملكها السرور وهي تسمع صوت نيك يسكت احتجاج لوك، وألقت بنفسها في الماء وسبحت نحو المركب. وعندما وصلت، صعدت إليه ثم نزلت إلى الغرفة وارتدت تنورة وبلوزة.

وبعد أن حزمت أمتعتهما، هما الاثنين، عادت تصعد السلم. وكان نيك قد صعد إلى المركب فوقف جانباً وأخذ ينظر إليها وهي تفتح حقيبتها لتضع فيها كيس الأحجار.

- دعيني أنقل هذه الأغراض إلى الطائرة.

- أغراض لوك فقط فهو بحاجة للعودة إلى «موناكو» ليرتاح وإلا سيلومني إذا ما طال شفاء ساقه. ضميري لا يستطيع احتمال ذلك مع كل الأمور الأخرى.

نظر إليها متسائلاً: «الأمور الأخرى؟».

خافت أن تتفجر مشاعرها وتفضحها، فقالت متلعثمة: «إنه مجرد كلام. بدأت أعصابي تتوتر هناك ولم أستطع أن أطهو سوى السمك. هذا إن كنت محظوظة في صيد سمكة أخرى».

بدت عليه صدمة: «هل اصطدت السمك؟».

- نعم. من يصدق هذا؟

ومنحته ابتسامة متعبة: «شكراً يا نيك، كنت مخلّصاً حقيقياً».

وعندما ودّعته سألها: «إلى أين ستذهبين؟».

- وعدت غرير بأن أمضي بضعة أيام في منزل ماكس قبل أن أستقل الطائرة إلى نيويورك.

لكن أوليفيا لم تكن تنوي الذهاب إلى «كولورونا»، فثمة زيارة

عليها أن تقوم بها قبل العودة إلى الوطن. لكن ينبغي ألّا يعلم أحد بشأنها خصوصاً لوك. كل ما ترجوه هو ألّا يكون الأوان قد فات.

غادرت المركب بحقيبتها متوجهة إلى المدينة. كان عليها أن تسير خمس دقائق فقط لتصل إلى محطة القطار.

- أريد تذكرة إلى «بوزيتانو» من فضلك.

أرادت أن تعلم قبل أن تعود إلى «كينغستون»، لما يكرهها لوك إلى هذا الحد. وحدثتها غريزتها بأن شقيقه الأصغر سيزار يمكنه أن يعطيها الجواب.

هذا لا يعني أن ألمها سيزول لكنها لا تستطيع القيام بأي خطوة بدون نوع من الإيضاح.

* * *

صعد نيك إلى الطائرة حاملاً الحقيبة التي وضعها خلف المقعد قبل أن يلتفت إلى لوك: «أوليفيا ليست قادمة».

- أخبرني بشيء لا أعرفه. دعنا نذهب.

كان لوك قد رآها تتوجه نحو المدينة، رافعة رأسها فيما شعرها الذهبي يتألق وجسمها يلفت أنظار الرجال في الميناء.

وفيما كان نيك يضع الحزام، ويخبر الطيار بأن يتوجه إلى «موناكو»، اتصل لوك بالسيد غاللي ضابط الأمن في مطار جنوى طالباً منه أن يتصل به فوراً إذا جاءت أوليفيا لتستقل الطائرة إلى وطنها.

- لِمَ اتصلت بالسيد غاللي؟

- إذا كانت ستعود إلى وطنها من مطار جنوى، فأريد أن أضعها في الطائرة بنفسي. أريد أن أتأكد من أنها غادرت القارة الأوروبية. تجربة أخرى مثل الليلة الماضية ستجعله يعجز عن الصمود.

ما فعلته به، وكيف جعلته يشعر... لن يصدق أنه أوشك أن يصبح ذلك النذل، العديم الأخلاق كما اتهم أخاه ذات يوم. كانت أوليفيا سماً متنكراً.

- كلما فرّقت بيننا آلاف الأميال كلما كان أفضل.

- أكره أن أخبرك أنها قالت إنها ستذهب إلى «كولورونا» أولاً لمدة يومين.

قال لوك غاضباً: «بما أن أختيها ليستا هناك فهذا يعني أنها كذبت عليك».

- ولِمَ تفعل هذا؟

- لأنها عادت إلى سيزار.

كان واثقاً من ذلك فلا يمكن أن تبقى من دون رجل. وعاد يقول: «رحلتها التالية ستكون شهر عسل. وفي هذه الحالة، أتمنى لهما رحلة موفقة إلى جهنم».

مرّ ظل على وجه نيك: «لوك...».

- إذا كنت ستخبرني بأنها ليست مثل «جنفييف»، فلا تضيع وقتك. الليلة الماضية تأكدت ووجدت أن النساء كلهن متشابهات. يقدمن أنفسهن لمن يدفع أكثر.

- أظنك مخطئ بالنسبة إلى أوليفيا.

قال لوك بسرعة: «أنت لا تعلم ما أعلمه أنا».

ثم خفض رأسه مضيفاً: «آسف لردي عليك بهذا الجفاء. ولكن حتى ألذ خوخة ظاهرياً، يمكن أن تجد فيها جانباً عفناً في الداخل. إذا ما أصبحت زوجة سيزار دي فالكون، فكيف سأقبل بها جارة جديدة دائمة؟».

بدا الذهول على نيك: «هل ستنتقل إلى إسبانيا؟».

- يمكنني القيام بعملي في أيّ مكان.

- أظنك تبالغ.

- دعنا نغيّر الموضوع. لم أشكرك بعد لإنقاذك لنا.

- سرّني القيام بهذا العمل. لكن عليّ أن أعترف بأن اتصالك أدهشني.

- لقد فاجأتنا تلك العاصفة.

- لقد جعلت البحث عنكما أصعب. بدأت أعصابي تتوتر عندما لم نر أثراً للمركب. لن تعرف أبداً مدى ارتياحي عندما رأينا أوليفيا تلوّح لنا.

- أقدّر لك مجيئك. أعلم أنني أستطيع الاعتماد عليك دوماً.

- لطالما ساعدتني. لكن اسمع يا لوك، على الرغم من أن أوليفيا وضعتك في ذلك المأزق، إلّا أنّها حاولت إخراجك منه.

- إلى جانب من تقف أنت؟

- جانبك، على الدوام.

وأثناء حديثهما، وصلت السيارة إلى البيت فتحسس لوك مقبض الباب وقال: «فلندخل ونأكل شيئاً. أريد أن أعرف أين وصلت الأمور في محاولة القبض على لص المجوهرات».

- ليتني أعلم من أين أبدأ. أنا بحاجة إلى معلوماتك.

اشتدت يد لوك على عصاه: «بعد أيام قليلة، سألقي بهذه بعيداً ويصبح بإمكاني قيادة سيارتي فآخذك إلى حيث يقودنا الأثر».

٧ - ما زلت مديناً لي!

أنزلت سيارة الأجرة أوليفيا عند أسفل الدرجات التي تقود إلى فيللا «فارانو» بعد أن أرخى الليل سدوله، فطلبت من السائق أن ينتظرها لترى إن كان أحدهم في المنزل.

ورغم أن السحب حجبت السماء، إلّا أن النجوم بدت وكأنها هبطت إلى الأسفل لكي تنير المدينة الرائعة بمنازلها المبنية على سفحي الجبل.

قرعت أوليفيا الجرس بقلب مثقل ولم تنتظر طويلاً قبل أن تفتح لها الباب مدبرة منزل وهي امرأة في الستينات من عمرها.

- من أنت؟

- مرحباً. سامحيني لحضوري متأخرة لكن القطار وصل لتوّه. اسمي أوليفيا داتشس. جئت لأرى سيزار. هل هو هنا؟

ونادى صوت من الداخل: «أوليفيا؟».

وفجأة أطل عليها، من خلف المرأة، الرجل الذي جاءت لتراه، ونظر إليها بفضول.

- هذه مفاجأة غير متوقعة، تفضلي بالدخول.

كان يشبه أخاه كثيراً ما جعل قلب أوليفيا ينزف دماً.

- سيارة الأجرة التي أحضرتني ما زالت تنتظر في الأسفل.

- هذا حسن. سأهتم بالأمر بينما تريك بيانكا الطريق إلى إحدى غرف الضيوف. بعدئذ، يمكنك أن تأتي إليّ على الشرفة

حيث كنت أتناول عشائي. أنا واثق من أنك جائعة بعد رحلتك إلى هنا.

تبعت أوليفيا مدبرة المنزل إلى غرفة الضيوف حيث غسلت وجهها وسرّحت شعرها فشعرت بانتعاش.

بحثت عن بيانكا التي أخذتها إلى شرفة مليئة بأصص أزهار من كافة الألوان والأنواع. وبين الروائح العبقة ونسيم الليل الرقيق، كان المنظر ساحراً، إنما ليس مع الرجل المناسب.

عندما عاد سيزار نظرت إليه وقالت: «يمكنني أن أرى سبب اختيارك لهذا المكان لترتاح. إنه الفردوس».

جلس قبالتها قائلاً: «ما هذه النظرة المأساوية في عينيك؟ أشعر بثقل العالم كله فيهما. هل أقدم لك بعض الطعام أولاً؟».

- لا، شكراً. المعذرة يا سيزار لحضوري المفاجئ. لم أجد وسيلة لأعلم إن كنت وحدك أم...

- أنا «وحدي»... كما ترين.

عضت شفتها: «لديك كل الحق في أن تتساءل عن سبب قدومي، لكن...».

- أليس السبب أنك مغرمة بي، ولم تستطيعي البقاء بعيدة عني أكثر؟ هل تظنين أنني لا أعلم هذا يا جميلتي؟

حولّت عينيها عنه شاعرة فجأة بالغباء.

- أنا لست ذلك الأحمق السطحي الذي يظنه معظم الناس، المعجب بنفسه وبحبه للسرعة، الرجل الذي يتصور أن العالم كله يدور حوله وحده دون سواه.

تمتمت: «لم أقل هذا قط».

- لم تكوني بحاجة لأن تقولي هذا. كنت من المعجبين بي قبل

أن تقابليني بوقت طويل وقد ذوى هذا الإعجاب الآن. ولو لم أتعلّم كيف أتعوّد على هذا، لتركت السباق منذ وقت طويل.

أنهى قطعة الجبن التي في طبقه قبل أن ينظر إليها بصراحة: «أنا لا أهتم إلّا برأي شخص واحد فقط بجانب رأي أبويّ. اعتدنا أن نكون أخوين حقاً، لكنه يكرهني تماماً في هذه الأيام».

تكلّم بسخرية مرة ففركت يديها متوترة: «أنت تتحدث عن لوك؟».

ازدادت الكآبة في عينيه: «ومن غيره؟ أظن أنه سبب مجيئك إلى هنا، لتتحدثي عنه».

- نعم.

- أنت تحبينه.

- نعم.

- ووجدته صعب المراس؟

كادت تختنق فيما هو يقول: «يمكنني أن أتصور ذلك. من أين تحبين أن نبدأ؟».

- من البداية.

- في البداية، كان لوك بطلي. أردت أن أكون مثله. لكنه كان بارعاً في الرياضيات وفي كل رياضة. ويمكنه أن يحصل على أي امرأة يريدها وبسهولة. أما أنا فالأخ الأصغر الذي يكافح في المدرسة ليحظى بدرجة «مقبول» في معظم أنواع الرياضة. ثم، صدقي أو لا تصدقي، كنت أشعر بخوف شديد من النساء.

اندفعت أوليفيا تقول: «هكذا كان الحال بيني وبين غرير. كانت هي الكبرى والذكية والبالغة الثقة بنفسها. كان الرجال يعشقونها... و... كنت أنا أعبدها».

- ذات يوم، أخذني لوك وإينا خالتيّ معهم إلى سباق السيارات. كان لوك يحب متابعة هذه الرياضة وعندما سار الفائز إلى المنصة ليستلم جائزته، رأيت إعجاباً في عيني لوك. كانت تلك اللحظة مثيرة بالنسبة إليّ إذ خطر لي أن أتعلم سباق السيارات ليعجب بي لوك.

- لكن لوك لم يعجب بك؟

- على العكس. لقد ساندني وتابع معظم مسابقاتي.

- ماذا حدث إذن ليتغير هذا كله؟

بان الألم على وجهه ما ذكّرها بلوك، وتأوهت.

- كان اسمها «جنفييف ليبلان».

أخذ قلب أوليفيا يخفق بشدة، فيما أردف: «جاءت من «تولون» لتبحث عن عمل، فاختارها كسكرتيرة لشركته ومن ثم عقد خطبته عليها».

من الطبيعي أن يكون للوك صديقات، لكن معرفتها بأنه خطب فتاة، جرحتها في الصميم. وسألته: «متى حصل هذا؟».

- منذ سنتين تقريباً.

تململت ثم تمالكت نفسها وعادت تسأله: «ولِمَ لم يتزوجا يا سيزار؟».

هبّ واقفاً بشكل مفاجئ: «قبل زفافهما بشهر، اضطر لوك لأن يسافر إلى أميركا لحضور مؤتمر وخضت أنا سباقاً في «مونزا» فجئت ثالثاً. دهشت حين رأيت جنفييف تتبعني إلى هناك لتساندني، كما ازدادت دهشتي عندما أصرت على العودة معي إلى هنا مدعية أنها تريد أن تشجعني وتستمتع بعطلة صغيرة تبعدها عن الاستعدادات المخيفة للزفاف. اعتذرت لأني وبعد كل سباق، اتّبع

www.elromancia.com

نظاماً معيّناً لكي أستعيد هدوء أعصابي. فأنا أركب الدراجة النارية وأقود على الطرقات الجبلية حتى ينهكني التعب. وبعد أن أسبح في البحر أذهب إلى الفراش وأنام من عشر إلى اثنتي عشرة ساعة من دون أحلام. على أيّ حال، عندما دخلت تحت الأغطية هذه المرة، اكتشفت أنني لست وحدي».

في هذه اللحظة، وقفت أوليفيا وسارت إلى حافة الشرفة.

- لا أحد يعرف مقدار الفزع الذي تملكني ودفعني الاشمئزاز إلى الحمام حيث أخذت أتقيأ. وعندما عدت إلى غرفة النوم، كانت لا تزال هناك والابتسامة على وجهها. قالت إنها منجذبة إليّ، وكانت تظنني سأتجاوب معها. وقالت إنّ لوك يجب ألّا يعلم قط وأن هذا سيكون سرّنا ثم توسلت إليّ كي آتي إلى السرير.

وتأوهت أوليفيا.

- أخبرتها أنني أحب أخي أكثر من حياتي، وإذا لم تخبره بما فعلت فسأخبره أنا. بعدئذ، ألقيت بها خارجاً وأخبرتها أنني لا أريد أن أراها قط. وبعد أيام، عاد لوك من المؤتمر، فاستُدعيت إلى بيت الأسرة حيث أبلغنا أنا ووالديّ أن الزفاف لن يتم. ورغم تحطم قلبي من أجله، شكرت الله لأن الحقيقة بانت. وفي وقت لاحق من ذلك المساء، أخذت لوك جانباً لأخبره بما حصل لكنني صدمت حين قال إن ليس ثمة ما يقال، وإن الأمر انتهى.

التفتت أوليفيا إليه بعنف: «ألم يسمح لك قط بأن تخبره بما حدث؟».

- كلا، لقد انتصب جدار بيننا. لم تعد علاقتنا كما كانت أبداً.

- ولعلها كذبت عليه!

بان الألم في عيني سيزار: «صحيح. لكن لوك يعرفني جيداً.

كان عليه أن يعلم أنني أحبه إلى حد لا يمكنني معه أن أخونه أبداً وأنني مستعد للقيام بأي شيء من أجله».

- إذن، لا بد أنها رسمت صورة جعلت من المستحيل أن يدرك الحقيقة.

- أنت محقة، لكنه لم يمنحني أيّ فرصة منذ انفصل عن جنفييف. المرة الوحيدة التي سأل فيها عني هي حين أرادني أن أتعرّف إليك بعد السباق. أبهجني هذا لأنني ظننت أن تصرفه يعني أنه فكر أخيراً وأدرك أنها المذنبة.

- ولهذا أخذتني إلى الكواليس بعيداً عن عالم السباق لكي تستعيد الحظوة في عين أخيك؟

- نعم، لكن خطوتي لم تكن للتكفير عن ذنب اقترفته. صدقيني.

ابتلعت ريقها بصعوبة وقالت: «شكراً لصدقك».

نظر إليها بخجل: «ربما لن تشكريني عندما أخبرك بكل ما فعلته».

- ماذا تعني؟

- عندما استدعاني وطلب مني التعرف إليك على المركب، عرفت بالغريزة أنك ستصبحين شخصاً هاماً بالنسبة إليه.

هزت رأسها: «شعر بالتزام نحوي بعد معاملتهم الفظيعة لنا حين ظنوا أننا سرقنا المجوهرات».

- لا، يا أوليفيا. شيء ما حدث على المركب «بكسيوني» جعله يتغير. من ناحية، ابتهجت لفكرة أن امرأة أخرى ستحرك مشاعره مرة أخرى. لكن من ناحية اخرى، توترت لأنك أبديت لهفة بالغة للتعرف إليّ. فبعد ما حصل مع جنفييف، عليّ أن أكون حذراً.

صرخت بصوت معذب: «لم أعرف هذا. عندما لم أستطع أن أجعله يتجاوب معي، أخذت أتقرّب منك لكي أثير غيرته. كان هذا أسوأ عمل قمت به، لكنني معروفة بأنني أوقع نفسي دوماً في أسوأ المآزق».

- عندما سمعت أثناء العرس أنكما تشاجرتما، قررت أن أساعد الطبيعة وأدعوك للذهاب معي إلى «مونزا».

- هل دعوتني لهدف في نفسك؟ أعني ليس لأنك مهتم بي؟

- كنت لأهتم بك للغاية لو أنني عرفتك قبل أن يعرفك هو. لكن جواباً على سؤالك، قررت أن أختبرك.

اتسعت عيناها: «إذن مسألة شراء الخاتم لي..؟».

- كان طعماً لأرى رد فعلك. إنه اختبار لأرى إن كنت تستحقين أن تتزوجي أخي.

فدار رأسها: «سيزار...».

- أنت لم تسخري مني وحسب بل رفضت أن تدعيني أعانقك. حينذاك عرفت أنك تحبينه روحاً وقلباً.

- هذا صحيح. هذا إذن ما عنيته عندما قلت على الهاتف إنك ترجو أن يدرك ذلك.

أوماً: «ليتك تعرفين كم سعدت عندما عرفت أنك ذهبت مباشرة إلى بيته بعد أن تركت «مونزا». لو كنتما ستخططان لحفل الزفاف فلِمَ أنت هنا بدلاً من أن تكوني معه؟».

- أواه يا سيزار. أنا في أسوأ مشكلة يمكنك أن تتصورها. إنه يكرهني. إنه يكرهني حقاً، لكني عرفت السبب الآن.

- أخبريني بما حدث بعد اتصالنا؟

وقبل أن تلتقط أنفاسها أخبرته بما حصل وشعرت بالارتياح

وهي تفضي بهمومها إلى شخص يحب لوك إلى هذا الحد.

- عندما قال إن فكرة التورّط مع إحدى حبيبات أخيه جعلته يشعر بالغثيان، عرفت أن ألمه له علاقة بك بطريقة ما. كنت حمقاء في لحاقي بك بذلك الشكل. فكرت في أنني إذا جعلته ينهار قليلاً عاطفياً، فسيعرض عليّ الزواج.

حدّق سيزار فيها بعينين نصف مغمضتين: «اسمعي، أنا أحبه للغاية. والحادث الذي نجا منه محنة لم يكن بحاجة إليها بعد خيانة جنفيف، إنه يستحق كل السعادة في الحياة».

- لا أدري ماذا أفعل، بل أعرف ما عليّ أن أفعله.

سألها برقة: «ماذا تريدين أن تفعلي؟».

- أن أجد طريقاً إلى قلبه.

- بعد نهوضك باكراً لتجذفي بمفردك بحثاً عن مساعدة، أنت أكثر إرهاقاً من أن تفكري بشكل صحيح. سأطلب من بيانكا أن تأخذك إلى إحدى الغرف، فأنا غالباً ما أتوصل إلى خطة رائعة بعد أن أنام نوماً عميقاً.

عضت شفتها: «لا بد من طريقة تنفع مع أخيك».

- فتيات «دانشس» معروفات بأنهن يفعلن المستحيل لبلوغ هدفهن، فإذا لم تستطيعي أن تجدي وسيلة توصلك إلى قلب أخي، فهذا يعني أن أحداً لن يتمكّن من ذلك.

- أظنني مجنونة بك، أيها السيد سيزار دي فالكون.

* * *

تبادلا الابتسام بتفاهم رائع قبل أن يتعالى رنين هاتف سيزار الخلوي. وتحوّلت عيناه إليها: «أراهن على أنه أخي يحاول أن يعرف أين أنت لأنه لم يعد يحتمل القلق. ماذا تريدين أن أخبره؟».

www.elromancia.com

أخذ قلبها يخفق: «من المتصل؟».

أخرج الهاتف من جيبه ونظر إليه: «إنه ماكس».

لم تعرف أوليفيا ما إذا كان عليها أن تشعر بالسرور أو بالتعاسة. ونظرت إلى سيزار وهو يجيب ثم يعطيها الهاتف مشيراً لها بأنها غرير.

أدارت ظهرها لسيزار، وسألت أختها بهدوء: «كيف عرفت أنني هنا؟».

- ربما لأنني عشت معك سبعة وعشرين عاماً وأعرف بالضبط كيف يعمل عقلك. أتعرفين أنك أقدمت على أسوأ تصرّف حين ركضت مباشرة إلى سيزار؟ أي أمل لديك مع لوك تبخّر الآن!

لم تستطع أوليفيا أن تحتمل رغم أن أختها على حق فأجابت: «يفترض أن تكوني في شهر عسلك بدلاً من الاهتمام بشؤوني».

- أخشى أن تورطك مع الأخوين فالكون دفعنا للتدخل! بايير اتصلت بنيك لأنها متلهفة لتعرف مكانك. فهي قلقة وخائفة عليك!

- لم أستطع أن أتصل بها. تعطّل المركب عند جزيرة مونت كريستو ولم يكن لدينا هاتف.

- هذا غير صحيح أوليفيا. أنت تعلمين جيداً أن لوك لديه هاتف. وإلا كيف عرف نيك مكان المركب وأتى لينقذكما؟

اتسعت عينا أوليفيا الزرقاوان عجباً. هل كان لوك يحمل هاتفه الخلوي طيلة الوقت؟ إذن، هذا يعني أنه كان يخفيه...

وهذا يعني أنه لم يشأ أن ينقذه أحد... وهذا يعني...

وتملكتها الإثارة... لقد غيّر هذا المعادلة.

- شكراً لاتصالك يا غرير وأعدك بأن أتصل بايير حالاً.

- أوليف...

لكن أوليفيا أقفلت الخط، وسألها سيزار: «هل كل شيء على ما يرام؟».

ناولته الهاتف وردّت: «كل شيء حسن. سيزار، هل تسدي لي معروفاً؟».

على خطتها أن تنجح.

- طبعاً.

- سر معي إلى الردهة واطلب بيانكا.. وعندما تأتي لتكون شاهدة، اطلب مني أن أخرج من منزلك.

سألها غير مصدق: «ماذا قلت؟».

- افعل هذا فقط، أرجوك. اطلب مني أن أترك المنزل على الفور وإلا طلبت الشرطة للقبض عليّ بتهمة التعدي على ممتلكات الغير.

وفجأة، بدا في عينيه الرماديتين أنه يفهمها: «إنها إحدى خدع بنات داتشس المشهورة».

فعضت شفتها: «هل ستكشف أمري؟».

هز رأسه نفياً ثم بدأ يلعب دوره. فأمسك بذراعها وجرها إلى الردهة وهو يصيح طالباً مدبرة المنزل التي جاءت راكضة.

- بيانكا، أرجوك، أحضري حقيبة الآنسة داتشس. أريدها أن تخرج من هذا المنزل في ظرف دقيقتين أو أنادي الشرطة.

وعندما أخذ يهز أوليفيا بعنف حتى كادت تتعثر وتقع، شهقت المرأة وركضت لتنفذ أمره. واستغل فرصة غياب المرأة فقبل أوليفيا على خدها قائلاً: «حظاً سعيداً يا جميلتي. لكنني لا أظنك بحاجة إلى ذلك لأنك تصنعين حظك بنفسك. عندما تصلين إلى أول منعطف، انتظري قليلاً وستصل سيارة الأجرة فتأخذك إلى أي مكان

www.elromancia.com

تريدينه».

- شكراً، يا سيزار. أريدك أن تعلم أنك رائع سواء نجحت خطتي أم لا.

وعانقته بسرعة قبل أن يتوارى ويتركها لتواجه مدبرة المنزل الوفية التي ألقت إليها بحقيبتها ثم أشارت بيدها إلى الباب: «أنت سمعت ما قاله سيزار. اذهبي».

- سأذهب، حتى لو لم يفهم قصدي.

هزت المرأة إصبعها أمامها: «إنه يعرف تماماً سبب حضور امرأة إلى بيته في هذا الوقت المتأخر من الليل وحدها. المرأة الوحيدة التي ستكون معه في هذا البيت هي زوجته».

- لكنني جئت لأتحدث إليه عن لوك. لوك هو الرجل الذي أحب.

- ابحثي إذن عن لوك المسكين وأخبريه، وابقي بعيدة عن سيزار المسكين. لقد عانيا بما يكفي.

- أنا موافقة. شكراً لضيافتك يا بيانكا.

ثم أغلقت المرأة الباب.

ما أن وصلت إلى منعطف الطريق حتى وجدت سيارة الأجرة تنتظرها، فقالت له: «إلى مطار «نابيلس». عليّ أن أكون في نيس قبل الصباح».

لم تكن تعلم ما هي خطط لوك، رغم أنه يفترض به أن يريح ساقه. لعله ذهب إلى منزل والديه أو إلى بيت نيك في إسبانيا. وتمنت ألّا يكون قد فعل هذا، فهي لن تحتمل المزيد من الأسفار الليلة كما أنها تريد أن تكون وحيدة مع لوك.

* * *

بعد أربع ساعات أنزلتها سيارة أجرة أخرى في فناء منزل لوك. وصلت في الخامسة والربع صباحاً وكان الظلام لا يزال سائداً. ترجّلت بعد أن طلبت من السائق أن ينتظر، خوفاً من أن لا تجد أحداً.

ها هي تعود مرة أخرى.

صعدت إلى الباب وقرعت الجرس. وسرعان ما سمعت سباباً فارتسمت ابتسامة على وجهها والتفتت إلى السائق تخبره أن بإمكانه أن يذهب.

ما أن فتح لوك الباب حتى كانت السيارة قد توارت عن الأعين. وهتفت: «مفاجأة، مفاجأة».

ودخلت حاملة حقيبة ملابسها.

قالت من دون أن تجرؤ على النظر إليه خوفاً من أن تخيفها ملامحه: «آسفة لأنني أيقظتك. لكن بما أنني دخلت، يمكنك أن تعود إلى سريرك. أنا أعرف الطريق إلى غرفتي».

ومن دون أدنى تردد، صعدت السلم إلى الغرفة الصفراء التي اختارتها في المرة السابقة. شعرت وكأنها في الجنة وهي تدخل الحمام وتخلع ملابسها لتستحم بالماء الساخن.

وعندما عادت إلى غرفة النوم بعد دقائق وقد لفت جسمها ورأسها بالمناشف، رأت لوك واقفاً عند العتبة ينظر إليها. كان بعيداً عنها إلى حد لم تستطع معه أن ترى النظرة في عينيه... كما لم تستطع أن تنظر إليه.

- ليس لدي ملابس نظيفة ألبسها. أتظن أن بإمكانك أن تعيرني قميصاً إلى أن أغسل ملابسي؟

- ثمة عباءة في الخزانة.

www.elromancia.com

بدا صوته وكأنه قادم من كهف مظلم. لكنه لم يتحرك ليرميها خارجاً، وهذه علامة طيبة.

فتحت باب الخزانة، فوجدت عباءة زرقاء اللون.

- إنه جميل. شكراً لضيافتك. سأغسل ملابسي بعد أن أنام ست ساعات.

وألقت بالمنشفتين على ظهر كرسي، ثم صعدت إلى السرير واندست تحت الأغطية: «تصبح على خير».

انقلبت على جنبها توليه ظهرها. وعندما أطفأ النور افترضت أنه إما مرهق للغاية وإما غاضب للغاية، ما جعله يؤجل المواجهة بينهما إلى الغد. لكنها كانت مخطئة للغاية إذ انخفض جانب السرير خلفها.

- ما الذي عليّ أن أفعله لأتخلص منك؟

لو لم تعلم أنه تعمّد أن يكذب عليها بالنسبة لهاتفه الخلوي، ولو لم يعانقها بجوع يماثل جوعها إليه، لجعلها سؤاله هذا تتركه إلى الأبد.

- ما زلت مديناً لي برحلة. كل ما عليك أن تفعله هو أن تتصل بشخص ليصلح المركب «غابيانو». عندما أستيقظ، سأحزم ملابسنا ثم نستقل الطائرة عائدين إلى «فرنازا». يمكننا أن نشتري بعض الكتب والبقالة من الميناء.

فتمتم بتهديد هادئ: «هذا كل ما عليّ أن أفعله».

- حسناً، أفضّل المفاجآت. آه، ثمة أمر آخر...

واستدارت قبل أن تضيف: «علينا أولاً التوقف عند المستشفى لنحضر هاتفك. لا أريد أن ننطلق هذه المرة من دونه فنصبح معزولين عن العالم. من حسن الحظ أن «جيوفاني» تذكر مسألة

الأسلاك فاتصل «بفابيو»».

لم تتحرك في وجهه عضلة واحدة، لكنها رأت وميضاً في عينيه الفضيتين. وسألها: «أين كنت اليوم؟».

- هنا وهناك.

- ماذا يعني هذا بحق جهنم؟

- أحياناً، عندما يتملكني الضيق، أستقل الترام إلى آخر الخط ثم أعود بعد أن أكون قد فكرت ملياً في ما يضايقني.

- وأنت كنت متضايقة؟

- طبعاً، فقد فشلت رحلتنا. وكنت متحمسة لها للغاية.

سمعته يتنفس بحدة: «وهكذا ركبت الترام إلى آخر الخط وعدت. هل هذا ما حدث؟».

- تقريباً.

- لا بد أنك صادفت بعض الركاب.

- طبعاً. قابلت خمسين فتى عابثاً على الأقل.

- ألم يحدث أن وصلت إلى «بوزيتانو»...؟

وترك بقية الجملة معلقة في الهواء.

- ما دمت تعرف أنني فعلت ذلك، فلِمَ لا تكون صادقاً وتسألني إذا ما اشترينا أنا وسيزار الخاتم؟ لكنك تعرف الجواب لأنني ما كنت لأحضر إلى هنا وأطرق بابك لو فعلنا.

- ما القضية؟ ألم يكن في بيته؟

فقالت بعد أن تعبت من السخرية في صوته: «آه بل كان هناك».

- ثم؟

- ذهبت إلى هناك لكي أتحدث معه عنك بعد أن أعطيتني إذناً بذلك لكنه هاجمني وطلب مني أن أخرج!

www.elromancia.com

- أنت تكذبين.

- إذا كنت لا تصدقني فاسأل بيانكا. رمت حقيبة ملابسي عند قدميّ، متمتمة بشيء مثل كم تألم لوك وسيزار المسكينان. وهكذا، اضطررت للسير إلى المدينة في الساعة الواحدة صباحاً حاملة حقيبة ملابسي الثقيلة ما جعل ذراعي تؤلمني.

- حذرتك من أن تلك الأحجار قد تصبح ثقلاً حول عنقك.

- إنها، على الأقل، ليست بثقل العبء الذي تحملانه، أنت وسيزار، في قلبيكما.

نهض لوك فجأة عن السرير: «ما الذي تتحدثين عنه؟».

كان الحديث عن سيزار مجازفة قد خططت لها.

- اسمع، ما تحتاج إليه هو شيء من المرح. ماذا لو علمتني كيف أبحر؟ يمكنك أن تستلقي على السطح لتريح ساقك وتعطيني التعليمات. سأقوم أنا بكل العمل. أحب أن أحمل معي إلى نيويورك بعض الذكريات، ذكريات ستلازمني لفترة طويلة.

حكّ رقبته: «لديك أخت تعيش في إيطاليا ويمكنك أن تزوريها في أي وقت».

- غرير تحتاج لبعض الوقت مع ماكس فهو لم يتزوج الفتيات الثلاث. وهكذا، قررنا أنا و«بايبر»، ألّا نزورها سوى مرة في السنة.

- لقد جئت لاصطياد «فتى عابث» وزيارة واحدة في السنة تقلل من حظوظك.

- لا بأس فقد عثرت غرير على فتاها. إصلاح المركب لا يأخذ وقتاً طويلاً، أليس كذلك؟ على أيّ حال، إذا كان وجودي معك يسبب لك الغثيان، فسأذهب إلى «فيرنازا» وأستأجر شخصاً

يساعدني على الإبحار على متن المركب «غابيانو». وبما أنك مدين لي، فسأضع التكاليف على حسابك. والآن، أريد أن أحظى ببعض النوم إذا لم يكن لديك مانع. فهلا أطفأت النور؟

www.elromancia.com

٨ - رسالة وداع

- نيك؟ هل أنت مستيقظ؟

سمع لوك صوتاً يتأوه ثم قال: «لا بد أن أمراً طارئاً آخر جعلك تتصل بي في السادسة صباحاً».

- إنها كارثة... سمّها كما تشاء.

- أفهم من هذا أنك تتحدّث عن أوليفيا.

أغمض لوك عينيه بشدّة: «لقد عادت».

- وأين هي؟

- تحت سقف بيتي، تستعمل حمامي وتنام في غرفة بجانب غرفتي.

منظرها وهي ملتفة بالمناشف سيبقى في ذاكرته إلى الأبد.

- أين كانت؟

- عليك أن تخمن مرة واحدة.

- إذن...

- لا تسأل... لن أستطيع أن أتخلص منها إلا بعد أن تقوم برحلتها البحرية اللعينة. سيجد «فابيو» رجلاً يصلح له الأسلاك ويضع شراعاً جديداً اليوم. سأحتاج إليك لرفع الأشرعة.

- لن تحتاج إليّ عندما تكون أوليفيا معك، يمكنها أن تقوم بذلك إذا أريتها كيف.

عبس لوك: «هذه هي خطتها».

فقال نيك ساخطاً: «إذا كنت تريد حقاً التخلّص منها، فلِمَ أدخلتها من الباب؟».

- أنت تعرف السبب. إنها أخت غرير. وإذا جرحت مشاعرها، فسيؤثر ذلك على ماكس.

- فهمت. إذن، إذا اتبعنا خط سير رحلتها الأساسي فستعود في النهاية إلى وطنها. عندئذ، يمكننا أن نعود إلى العمل كالمعتاد.

بعد صمت طويل، سأله نيك: «أتريد مركباً مجهزاً بالكامل؟».

- نعم، علينا ألّا نجعلها تشكو من شيء. سأقوم بالطهي بينما تلعب أنت دور القبطان.

- كالأوقات الماضية؟

- ليس تماماً. هذه المرة لن تحاول الهرب. سأحتاج للراحة بضعة أيام أخرى وبعدها لن أحتاج لعصا. عندئذ، يمكنني أن أتركها بين يديك القديرتين بقية الرحلة. ليس لديك مانع من مرافقتها إلى المطار حتى تستقل الطائرة، أليس كذلك؟

- سأحزم أمتعتي وأسافر إلى «فرنازا».

كان لوك يعلم أنه يطلب الكثير من ابن خالته، لكن ما من خيار آخر أمامه. إن بقاءه وحيداً مع أوليفيا على المركب مستحيل. ما يحتاجه فعلاً هو نعمة النسيان. فلتساعده السماء! كم من الوقت سيمضي قبل أن يتوقف عن الاهتمام بما جرى بينها وبين شقيقه؟

- نيك؟

- نعم؟

- شكراً.

بعد أن أقفلا الخط، اتصل لوك بفابيو الذي أخبره أنه سينهي إصلاح الأعطال قبيل المغرب. وعندما أنهى اتصالاته، عاد إلى

www.elromancia.com

سريره.

ولسوء الحظ، كان نومه متقطعاً غير منتظم بعد أن لاحت أمامه ثلاثة أيام أخرى من العذاب. ثلاثة أيام لا يستطيع أن يمضيها في النوم كي يتمكن من إبعاد صور معيّنة من ذهنه. الحمد لله على وجود نيك معه ليساعده على مقاومة هذا الغثيان.

وبعد نصف ساعة أخرى من التململ والتقلّب في الفراش، نهض ليحلق ذقنه ويستحم. وكان عائداً لتوه إلى غرفة نومه ليرتدي ثيابه عندما سمع صوت جرس الباب يرن.

نظر إلى ساعته. إنها العاشرة وعشر دقائق. أياً كان الطارق، سيفتح له أحد المستخدمين الباب. وعندما تعالى رنين الجرس مجدداً، تذكر أنه منح موظفيه إجازة.

وهكذا، توجّه إلى السلم مستنداً على عصاه.

في منتصف الطريق وقعت عيناه على ساقي أوليفيا الطويلتين الرائعتين. كانت لا تزال ترتدي العباءة الزرقاء وقد فتحت الباب لتوّها.

- سيدة فالكون...

حسناً، هذا ما هو يحتاج إليه بالضبط.

* * *

- صباح الخير يا آنسة. هل ولدي هنا؟

- أنا هنا يا ماما.

فقالت الأم: «لا تكمل الطريق يا ولدي. مررت فقط لأرى حال ساقك».

نظرت إليه أمه باهتمام وكأن رؤية شقيقة غرير في المنزل لم تصدمها. بوجنتيها الحمراوين وخصلات شعرها الذهبية المشعثة

بإغراء، بدت أوليفيا وكأنها تركت السرير لتوّها. لا شك أنها تبدو الآن كما بدت في ظلمة تلك الليلة حين أوشك أن يلتهمها بعينيه.

على أيّ حال، لقد توقف قبل فوات الأوان وإلّا لامتلأت روحه مرارة.

وسارعت أوليفيا اللعينة للرد: «إنه يسير عليها كثيراً، وأخشى أن أكون أنا الملامة في ذلك. الليلة الماضية، أم عليّ أن أقول في الساعة الخامسة من هذا الصباح، وصلت إلى بيته قادمة من زيارة لسيزار».

عندئذ، سألت الأم أوليفيا: «وكيف حال ابني الأصغر؟».

- سأخبرك بعد دقيقة. لِمَ لا تصعدين مع لوك، بينما أحضر بعض الشاي والخبز؟ اكتشفت أن لوك منح موظفيه إجازة، فتطوعت لخدمته.

- هذا لطف بالغ منك.

- أبداً، إنه أقل ما يمكنني أن أفعله لمبادلة فضله عليّ بالمثل. كما أنّ لوك سيأخذني في رحلة بحرية يُفترض أن تكون رحلة العمر.

وتوارت خلف الباب. ما كان للوك أن يدهش وهو يرى امرأة مثلها تدلي بتعليقات كهذه لأمه.

- توائم «داتشس» الثلاث ظريفات جداً أليس كذلك؟

وعندما وصلا إلى غرفته قبلته على الوجنتين مضيفة: «أنا مسرورة لوجود من يعتني بك هنا. استلق الآن وارفع ساقك».

- أريد أن أعرف أولاً ما قاله الطبيب عن ساقك.

وأخذت منه العصا بينما عاد هو إلى سريره.

- ساقي لن تعود قط كما كانت. لكن بعد ثلاثة أيام لن أعود

www.elromancia.com

مضطراً لاستعمال العصا.

اغرورقت عيناها بالدموع: «لقد استجاب الله لإحدى دعواتي».

حوّل لوك عينيه فهو يعلم أن أمه تتعذب لحاله وحال أخيه. منذ أعلن ماكس خطوبته في شهر تموز، ثارت عواطف الأمومة لديها، لكن هذا أدى إلى تفاقم التوتر بينه وبين سيزار.

ودخلت ضيفته غير المدعوّة حاملة صينية عليها كل ما لذ وطاب .ولم يكن هذا غريباً، فأوليفيا امرأة ماهرة في المطبخ.

وضعت الصينية على طاولة بين مقعدين وهي تقول: «أرجو أن تعذراني لأني فتحت الباب وأنا بهذه العباءة. لم يكن على متن «غابيانو» أي غسالة.

- «الغابيانو»؟

تأوه لوك: «إنه مركب «جيوفاني» يا ماما».

قدمت لهما أوليفيا الخبز والشاي، وسكبت لنفسها كوباً ثم وقفت بجانب السرير بينما جلست أمه بجانبه.

- حالياً، سيحصل المركب على أشرعة جديدة كما سيتم إصلاح الأسلاك الكهربائية فأتمكّن من إكمال إجازتي. لكن قبل أن يخبرك لوك أن العاصفة داهمتنا، لا بد أنك متلهفة لسماع أخبار سيزار.

- أنا دوماً قلقة بشأنه. لم يأت إلى البيت منذ أن كسب السباق.

- أنا لا أدّعي أنني أعرف الكثير عن ولديك. لكني أدركت من القليل الذي شاهدته أنهما يفضلان الابتعاد عن الجماهير.

ونسيت الأم أنه موجود في الغرفة فسألتها: «ماذا تعنين؟».

- سيزار يجلس وحده في الشرفة الأرضية في الفيللا، بينما لوك

يتأمل العالم من مكانه العالي.

قهقهت أمه: «إنه يشعر بالخوف من الأماكن المغلقة التي لا تطل على الخارج. أنت شديدة الملاحظة».

- كما أنّ بيانكا تحوم حول سيزار وكأنها جدة مع حفيدها الحبيب. كانت الطريقة التي حاولت فيها حمايته مني مؤثرة للغاية.

رفرفت الأم بأهدابها: «حمايته منك؟».

فابتسمت أوليفيا: «نعم. أخبرني سيزار أنه يمضي أسبوعاً هناك بعد كل سباق وقال إن بابه مفتوح لي لذا فكرت بزيارته قبل سفري إلى أميركا. لكن عندما فتحت بيانكا الباب، لم تكن تعلم أن ثمة نسب بيني وبين سيزار ولوك. ظنتني إحدى النساء اللواتي يلقين بأنفسهن على سيزار».

- هذا مثير للاشمئزاز.

- أوافقك تماماً. خصوصاً بعد أن كان سيزار قد أخبرني أن خطيبة أحد أصدقائه المخلصين جاءت إلى بيته منذ سنتين من دون دعوة وسببت له تعاسة حقيقية.

سقط «الكرواسون» الذي كان لوك يأكله من يده، بينما قالت الأم: «لم يقل لي أو لأبيه شيئاً كهذا».

- لا أظن أنه يريد لأحد أن يعرف هذا. لم يشأ أن يؤذي صديقه، لكن «بيانكا» كانت شاهدة على ما حصل وحفظت سرّه. ومنذ ذلك الحين عينت نفسها حارسة له.

- هذا جيد منها!

- هذا صحيح، ولهذا لم أهتم حين ألقت بحقيبة ملابسي خلفي وأنا خارجة.

- هل كانت فظة معك إلى هذا الحد؟

- في الواقع، لم أهتم لذلك بل أعجبني وفاؤها. وقبل أن تصفق الباب خلفي، أخبرتني أن المرأة الوحيدة التي سيسمح لها بقضاء الليل في بيت سيزار هي زوجته.

- أنا وأبوه نعيش على أمل أن يعثر على الزوجة المناسبة يوماً ما.

- سيجدها. أما الآن فهو يبذل ما في وسعه لينجح في العمل الذي يحسنه أكثر من غيره. وهذا صعب بالنسبة إلى الولد الأصغر في الأسرة.

ألم يدرك لوك أنّ هذا الارتجاف في صوتها حقيقي؟

- ماذا تعنين يا عزيزتي؟

- لوك أشبه بأختي غرير بكماله.

جلس لوك مذهولاً فيما ربتت أمه على يد أوليفيا، قائلة: «أنت تفتقدينها. هذا طبيعي فأنتما توأم».

- لم يناسبها أحد حتى جاء ماكس.

- لم أره قط بهذه السعادة من قبل.

- لو كان أبي وأمي حيين لأحباه كثيراً.

- لا بد أنك تفتقدينهما أيضاً.

- لا يمكنك أن تتصوري مقدار ذلك. لوك وسيزار محظوظان جداً لأنك أمهما.

والتفتت والدة لوك إليه لتسأله: «هل سمعت ذلك يا ولدي؟».

وكان لوك قد نزل إلى الأرض فأجاب: «سمعت يا ماما».

وسمع كلاماً آخر أيضاً. لن تجد نفسه راحة حتى يتمكن من تبادل الحديث مع سيزار على انفراد. لكن قبل أن يقابل أخاه وجهاً لوجه، عليه أن يتمكن من الوقوف على قدميه بدون مساعدة.

- إذا ما فرغتما من الطعام، فسأحمل الصينية إلى المطبخ وأمنحكما بعض الوقت وحدكما. دعي لوك يخبرك عن رحلتنا إلى جزيرة «مونت كريستو».

- ذلك المكان الموحش؟

وأغلق باب الحمام خلفه على بقية الحديث.

* * *

كانت «فرنازا» تتألق باللون الوردي عند الغروب. وتملك أوليفيا السرور وهي ترى الشراع الجديد على سارية «غابيانو».

ها هي تعود لتعيش حلمها مرة أخرى، في رحلة حياتها مع لوك.

رفضت أوليفيا أن تدع مزاجه السيء يثبط عزمها. منذ زيارة أمه غير المتوقعة، أصبح مزاجه أسوأ بحيث صعب التحدّث إليه.

وبدلاً من أن يرد عليها بشكل سيء وينقذها بشكل لاذع ومرّ متعمداً أن يجرحها، التزم الصمت ولم يعد يتحدث إلا عند الضرورة.

تمنت من الله أن يعني هذا أن ما قالته عن زيارتها إلى بيت سيزار أثر فيه. لكن من المؤكد أنه سيعرف الحقيقة بنفسه في نهاية المطاف.

كانت مغامرة هائلة من أوليفيا أن تتحدث إلى أمه عن شؤون الأسرة المؤلمة الخاصة، وقد لا يصفح عنها لوك أبداً. لكنها لم تجد أمامها سوى خيارين فإما هذا وإما أن تتركه وترحل. وتوتر فكها لصعوبة الخيار الأخير.

حملت الحقيبتين معاً ثم اقتربت منه. وإذا بها ترى معدات كثيرة على السطح لم تكن عليه من قبل، كمعدات التزلّج والغطس

www.elromancia.com

وكراسي، فصرخت مبتهجة.

- أفهم من هذا أنك مسرورة.

- أنا فعلاً مسرورة.

وضعت الحقيبتين في الزورق ثم نزلت في أثرهما. وتحرك لوك بشكل أسرع من أن تستطيع التدخل لمعاونته، فافترضت أن الدواء خفف من ألمه لبعض الوقت.

- لِمَ لا تستلقي على تلك الأريكة وتخبرني بما عليّ أن أفعله أولاً. أحب أن أبحر لفترة بمحاذاة الشاطئ قبل أن نرسو في الميناء التالي.

رفع حاجبه: «ألا تودّين أن تنظمي أمورك أولاً؟».

- لقد تناولنا العشاء في وقت مبكر. ولدينا وقت كافٍ لنرتب أمتعتنا.

- امنحيني دقيقة إذن.

- لا بأس. أسرع.

التوت شفتاه بابتسامة غريبة لم تستطع أن تفهم كنهها قبل أن يتوارى في الأسفل. خلف مظهره الثلجي يخفق قلب تتملكه الإثارة لأنهما سيكونان بمفردهما، لكنه لن يعترف بذلك أبداً.

شبكت أوليفيا ذراعيها على صدرها وأخذت تنظر من حولها. هذه آخر فرصة لها.

في بداية النهار، وفيما كان لوك نائماً، ذهبت للتسوق حيث اشترت ملابس للنوم، وبعض الملابس العادية.

وقبل أن يغادرا الفيلا، إتصلت بباييز لتعلمها أنها خارجة مع لوك من البيت وستعود فتتصل بها بعد يومين.

إنها معه الآن، ولا شيء يماثل شعورها في هذه اللحظة

بالذات.

- «سنيوريتا أوليفيا»، حان وقت الإبحار إلى «مونتيروسو». هل أنت جاهزة لأول درس لك؟

انتفض قلب أوليفيا. لقد سمعت هذا الصوت من قبل، لا بل أمس صباحاً في الواقع. هذا لا يعني أنها لا تحب نيك لكن حضوره لا يعني سوى أمر واحد...

عليها ألّا تدعه يكتشف شعورها. لكنها ستعاقب لوك على خدعته هذه.

استدارت والابتهاج يكسو وجهها، وكان لوك برفقته: «نيك... يا لها من مفاجأة رائعة! ما أشد سروري بوجودك! أيمكنك أن تمكث معنا طوال الرحلة؟».

- طبعاً. لقد رتبت أموري بحيث أرافقكما في هذه الإجازة. سنبحر إلى «ماربيللا» حيث ستحلين ضيفة عليّ.

- رائع!

وركضت إليه وعانقته بحماسة أمام لوك ثم ابتسمت له ابتسامة عريضة: «سيكون هذا ممتازاً. وجدت الآن شخصاً يستمتع معي بحياة الليل».

فلمعت عيناه: «أتحبين الرقص؟».

- كثيراً. هذه الرحلة أصبحت أحسن بكثير مما تمنيت. حضورك أراحني من القلق.

- ليس عليك أن تقلقي أثناء الإجازة.

- في الواقع، وعدت والدة لوك بأن أهتم بابنها خلال الرحلة. ولكن بما أنك هنا فلن يحدث أي خطأ.

- سنتناوب على العناية بلوك.

- تماماً، لكنني حالياً أريد أول درس في الإبحار.

- كل ما يبهج إحدى شقيقتي زوجة ماكس. أود أن أنال حظوة في عينيه.

- أتمنى أن أكون الأخت المثالية لزوجته بحيث لا يتمنى يوماً لو لم يكن هناك قرابة بيننا.

- لن يتمنى ماكس ذلك قط.

- بايبر قلقة جداً من هذه الناحية. قالت إنها لن تعود إلى أوروبا إلا عند عماد أول طفل لهما.

قطب نيك جبينه: «هل قالت سنيوريتا بايبر ذلك؟».

- نعم، ولدت بايبر ولديها من القلق ما يكفينا نحن الثلاثة. لديها ضمير يعمل ساعات إضافية.

وارتكبت أوليفيا غلطة إذ التفتت إلى لوك فوجدته يحدق فيها وكأنه يريد أن يقول إن هذا يبرر عدم امتلاك اوليفيا أيّ ضمير. وتابعت حديثها مع نيك: «أعتقد أن هذه هي ميزة الولد الأوسط. بايبر هي صانعة السلام».

فقطب نيك حاجبيه: «لن يكون ماكس مسروراً إذا عاشت بعيدة عن غرير وكانت النتيجة تكدر زوجته».

- لكن بايبر ترى في ذلك مصلحة ماكس.

نظر إليها متفرّساً: «كيف تواجه بايبر العيش وحيدة؟».

أتره سؤالاً عادياً أم يتضمن معنى ما؟ وقررت أوليفيا أن تكتشف الحقيقة.

- ليست وحدها إذ انتظر توم عودتها من حفل الزفاف بمشقة بالغة.

تضمن الصمت الذي تبع كلامها معانٍ كثيرة. وجاء سؤاله

التالي: «هل نبدأ الرحلة؟ ستجدين سترة نجاة في الخزانة خلفك».

التفتت لتحضرها ثم ارتدتها وهي تدرك أن لوك يحدّق فيها متابعاً كل حركة منها.

- معاونك جاهز.

- لا بأس. فكي الحبال ثم اذهبي إلى مركز القيادة.

- نعم سيدي.

عملا معاً بانسجام وسار المركب بيسر خارجاً إلى عرض البحر.

- أتشعرين بذلك النسيم؟

فأومأت إيجاباً.

- ها هنا يأتي درسك الأول.

كان نيك معلماً جيداً. فخلال دقائق قليلة، فتحت الشراع بالاتجاه المطلوب، وقامت الريح بالعمل المتبقي.

ورغم أن أوليفيا دمرها علمها أن لوك لم يشأ أن يكونا وحيدين على المركب إلا أنها لم تستطع أن تمنع نفسها من الصراخ لفرط البهجة حين أخذ المركب يشق المياه نحو الضوء الخابي في الغرب.

ناداها نيك: «ما رأيك؟».

رفعت وجهها تتلقى رذاذ المياه المالحة: «أنا في الفردوس!».

وكذلك كان نيك كما بدا من ضحكه المبتهج. وبعيداً عنهما لاحظت أن لوك يحملق فيهما.

كان الهواء يقودهم بثبات وكأنما بيد غير مرئية.

قالت: «أشعر وكأنني سمكة «دلفين» أو «تونة»!».

ازداد ضحكه فضحكت معه ثم أشار إلى بعض الأضواء على

www.elromancia.com

طول الشاطئ: «مونتيروسو».

- أبهذه السرعة؟

- أتريدين أن تتابعي المسير إلى المدينة التالية؟

- لا. أريد أن أرى كل شيء.

- إذن، سترين ذلك!

وبخبرة فائقة، اتجه نحو الميناء. كانت المدينة تتألق بالأضواء كعصابة امرأة مرصعة بالجواهر. طوى الأشرعة وتقدم نحو الشاطئ حيث رسا الكثير من المراكب لقضاء الليل.

كانت تسمع أصواتاً وموسيقى فيما الناس يسبحون ويلعبون على الشاطئ.

لم تستطع أن تمنع نفسها من الالتحاق بهم. وكانت تلبس ثوب السباحة تحت ملابسها فلم يأخذ منها خلعها سوى دقيقة واحدة.

نادت من فوق كتفها، متجاهلة دمدمة لوك: «سأعود».

وصعدت إلى جانب المركب وقفزت إلى الماء. كانت المياه رائعة ببرودتها المنعشة فسبحت أوليفيا على ظهرها لتتأمل المناظر.

ورأت على الشاطئ مجموعة من الفتيان في بداية العشرينات يلعبون الكرة. ورمى أحدهم الكرة فإذا بها تطير وتحط على الماء.

التقطتها أوليفيا وألقتها إليهم فتوسلوا إليها أن تشاركهم اللعب.

وبما أن معاملة لوك لها كانت لا تزال تؤلمها، أجابت الفتية بأنها ستنضم إليهم في اللعب.

وأخبرها أحدهم بأنهم ذاهبون إلى حانة للرقص وطلبوا منها أن ترافقهم إلّا أنها شكرته مدعية التعب ثم ركضت ملقية نفسها في المياه، لكن هذا لم يثبط عزيمة الفتى فلحق بها. وعندما بلغت المركب «غابيانو»، كان قد وصل إليها وأمسك بقدمها أثناء تسلقها

السلم، فالتفتت إليه: «لقد تأخرت... صدقني».

- غداً ستنامين... اليوم أنت رفيقتي.

وقبل أن تتلفظ بكلمة أخرى، امتدت يدان من الفولاذ وأمسكتا بأعلى ذراعيها ثم رفعتاها إلى المركب.

- خذ رفيقة لك من مكان آخر.

كان صوت لوك العميق المنذر بالشر ومظهره كافيين لجعل الرجل يقفز عن السلم كسمكة طائرة.

كان عليها أن تعترف بأنه خلّصها لكنها رفضت أن تمنحه ذلك الرضا عن نفسه أو تخبره بأنها آسفة لأنه ألحق الأذى بساقه وهو يساعدها على الخلاص من ذلك الرجل. وبدلاً من ذلك أسرعت تهبط إلى أسفل المركب.

كان نيك في المطبخ فألقت عليه التحية ثم تجاوزته راكضة إلى حيث حقيبة ملابسها التي أخرجت منها بعض الحاجيات. اغتسلت وارتدت ملابسها ثم صعدت السلم حيث كان لوك يقف متكئاً على عصاه ساداً عليها المخرج.

جالت عيناه على خصلات شعرها المبللة ومن ثم على فمها. وتخيّلته يعانقها كما فعل في تلك الليلة فسرت النار في جسمها.

- لقد أخطأت الطريق فالمقصورة من الناحية الأخرى.

- سأصعد إلى سطح المركب لاستمتع بوقتي.

- ليس الليلة، وليس بهذه الملابس. سطح المركب هو منطقة نيك بعد الحادية عشرة ليلاً. أمضى يوماً شاقاً وهو مجهد تماماً. وهذا لا يعني أنك تهتمين لتعبه...

تمالكت نفسها بجهد بالغ: «يبدو أنك لست قلقاً حداً أنت أيضاً».

- أقترح عليك أن تصعدي إلى سريرك كي ننام جميعاً.

- حسناً، وعدت أمك بأن ألبي رغباتك كلها.

حدق فيها بعينين جامدتين: «لا أظنك خدعتها؟».

- كلا، بالطبع. لا بد أنها امرأة غير عادية تلك التي تربّي ابناً حاد الذكاء إنما مزعجاً، يتمتع بجنون العظمة والغباء مثلك، وتبقى حية... لو أن «موناكو» تقدّم جائزة أفضل أم، لربحتها هي. تصبح على خير يا صديقي المتكبر. أحلاماً سعيدة.

وصعدت إلى سريرها ورفعت الغطاء إلى ما فوق رأسها.

استقر الأمر على نمط واحد وفي الأيام الثلاثة التالية وهو: دروس في الإبحار، تتخللها رياضة مائية وطعام جيد.

إنه نظام ممتاز يشغلها عن التفكير في لوك، الذي اعتاد أن يستلقي وأنفه في الكتاب ويتجاهلها تماماً. ملاحظاته كلها كان يوجهها إلى نيك، وغالباً ما تدور عن الرجل الذي سرق مجوهرات الأسرة وعمن عساه يكون.

وفي الأمسيات، كان نيك يأخذها إلى المقاهي المحلية فيرقصان أو يسيران في شوارع المدن الصغيرة والمنطقة.

عدة الغطس، والكهوف الطبيعية والاصطناعية في «سان ريمو» كانت جديدة بالنسبة إليها. سار لوك معهما قليلاً في الصباح وقد بدا مسروراً بهذه الرياضة. كان يعرف كل البقاع السرية حيث لا يذهب السياح.

في اليوم التالي دخلوا «نيس» وأمضوا وقتاً في قصر «ديز». وعندما وضعت رأسها على الوسادة تلك الليلة استغرقت في نوم عميق.

ما لم تعرفه هو أن نيك استغل اتجاه الريح أثناء الليل، ورسى

بعد «موناكو». وعندما نظرت من النافذة في الصباح التالي، كان مشهد «كان» الممتد أمامها لا ينسى.

ما زالت لا تصدق أنها تزور أماكن في «الريفييرا» لم تكن قد رأتها إلا في الأفلام أو الكتب.

كان لوك قد استيقظ باكراً كعادته وأخذ يعد الفطور.

أكلوا على السطح، ثم وضع الرجلان خط سيرهما لهذا النهار، واتفقا على أن يتوجهوا إلى «مارسيليا»، ومنها إلى بربينيان. وفي الأيام التالية سيبحرون إلى الموانئ المشهورة على طول الساحل الإسباني.

كان خوف أوليفيا الأكبر هو أن يصلوا إلى «ماربيلا» من دون أن يظهر لوك أي رغبة في الانفراد بها. ربما إذا اشترت له شيئاً يحبه حقاً، سيرق قلبه قليلاً.

عندما ذهبت مع نيك إلى الشاطئ، أمضيا الصباح كله في ارتياد الاماكن التي تستحق المشاهدة. لكن بعد أن تناولا الغداء، طلبت منه أن يأخذها إلى مكتبة تجد فيها كتباً علمية.

وسواء استغرب طلبها أم لم يفعل، فهذا لم يظهر عليه. وهكذا أمضيا ساعات في المكتبة الفسيحة التي تبيع كتباً جديدة وقديمة.

غاص نيك بين الكتب اللغوية وتلك التي تتحدث عن أصول الأسر الكبرى فيما طلبت هي من الرجل الذي يرافقها أن يبحث لها عن آخر رواية صدرت عن الرجل الآلي. وجازفت بشراء كتاب للوك ربما سبق له قراءته، لكنها قد تكون محظوظة.

وفي النهاية، اشترت خمسة كتب، أحدثها تناول قصة رجل آلي اسمه «كوغ».

قد يجد لوك هذه الكتب مسلية ويقرأها مرة أخرى، إذا ما سبق

له قراءتها، وهو ما ترجّحه.

عندما انضم إليها نيك حاملاً في يده ثلاثة كتب، أصرّت على دفع ثمن الجميع قائلة إن هذه هي طريقتها في تقديم الشكر على مساعدته لها.

تقبل نيك هديتها بظرفه المعهود. وفي الرابعة والربع عادا إلى المركب حيث وقفت على السطح تنادي لوك من أعلى السلم: «لوك. لقد عدنا».

تملكتها الإثارة لكي ترى وجهه عندما تناوله الهدية لكنها لم تسمع جواباً، فنزلت إلى أسفل. ربما غلبه النوم.

تملكتها الدهشة عندما لم تجده في السرير. لو كان يسبح حول المركب للاحظت ذلك. وتملكها الارتباك والحيرة فتركت المقصورة لتجد نيك في المطبخ ممسكاً بقطعة من الورق في يده. وخلف كتفه لاحظت عصا لوك ملقاة على المائدة. رفعت أوليفيا عينيها إلى نيك، وتشابكت أعينهما.

- ترك لك هذه الورقة.

وكان في صوته نبرة أقلقتها.

جف فم أوليفيا فجأة. كانت تعلم أن ما ستقرأه لن يعجبها. وسألته متلعثمة: «ما... ماذا في الورقة؟».

- سأدعك تقرأينها.

٩ - غريبة الأطوار

غادر نيك المطبخ لتتمكن من الانفراد بنفسها.

وضعت كيس الكتب على المنضدة، ثم التقطت الورقة بيد ترتجف.

* * *

القريبة العزيزة من آل «داتشس». حتى لا يقال إن آل «فارانو» لم يكرموا ويقوموا بواجبهم تجاه قريباتهم اللاتي طال ضياعهن في العالم الجديد، تركتك مع نيك، بين أحسن يدين. سيحرص على أن تمر بقية الرحلة بشكل لا يُنسى.

إكراماً لماكس وغرير، فلتتفق على الافتراق من دون مرارة. لا أريد أن يكون أول يوم من حريتي من سجن «العصا» مدموغاً بالمرارة.

حسب معرفتي بك، ستنجحين في عملك. على أيّ حال، أنت امرأة مليئة بالمفاجآت ومثيرة للذهول.

«لوك».

وقفت فترة طويلة تحدّق في الفضاء.

عبارتا «مليئة بالمفاجآت» و «مثيرة للذهول» تعنيان «غريبة الأطوار».

إنها نهاية الطريق. لقد تجاوزت خطاً غير مرئي رسمه لوك قبل

أن يعرفها بمدة طويلة. حاول الكل أن يحذرها، لكنها اتبعت غريزتها.

وانهمرت دموعها على خديها.

- أوليفيا؟

كان نيك يقف خلفها فمسحت دموعها بقفا يدها وسألته: «هل كنت تعلم أنه سيغادر؟».

- نعم. أصبح بإمكانه اليوم أن يقود سيارته من جديد، وهو متلهف لأن يتابع حياته. لو عرفت لوك قبل الحادث وعرفت مدى عشقه للرياضة، خصوصاً التزلج، لأدركت كم كان صعباً عليه أن تصبح حركته مقيّدة.

شهقت تغالب دموعها: «يمكنني أن أتصور. إنه محظوظ جداً لأن لديه ابن خالة متفهم مثلك. أيمكنك أن تستدعي لي سيارة أجرة؟ سوف أستقل الطائرة إلى أميركا من نيس اليوم».

- إذا سمحت، سأتصل ليرسلوا سيارة ليموزين ثم آخذك إلى المطار بنفسي.

لم يحاول نيك أن يقنعها بإكمال الرحلة وقد سرّها ذلك.

- ماذا عن المركب؟

- سأبحث عن شخص يعيده إلى «فرنازا». كل ما يلزم هو اتصال هاتفي.

- هذا حسن إذن. أرجو المعذرة فعلي أن أحزم أمتعتي وأنظف المكان. ماذا ستفعل بعصاه؟

- سنتركها هنا مع الأغراض الأخرى.

- هل تمانع إذا ما احتفظت بها؟

- كلا بالطبع.

- شكراً.

وبعد ثلاث ساعات كان المذياع يعلن عن قيام رحلتها من مطار «نيس».

احتضنها نيك مودعاً: «مع السلامة. أبلغي أختك تحياتي».

أومأت قائلة إنها ستفعل، ثم رفعت إليه عينين مغرورقتين بالدمع: «عندما ترى لوك، هل لك أن تسلمه هذه الكتب؟ أخبره... أخبره أنها... أنها رمز السلام بيننا».

أومأ لها برزانة قبل أن يغادر غرفة الانتظار.

* * *

-إتيان... هل رأيت أخي؟

نظر رئيس الميكانيكيين الأشقر إلى لوك ثم هتف: «لوك؟».

- لا بد أنك سعيد.

- هل أخي هنا؟

- خرج لاختبار العجلات الجديدة التي وضعناها لسيارته.

- هل تظنه سيتأخر؟

- إذا أردت أن تتحدث إليه، فسأطلب منه أن يعود.

- سأكون شاكراً لك.

قال قبل أن يتوارى: «طبعاً! دقيقة واحدة».

كان لوك قد اتصل بالفيلا في «بوزيتانو» عندما لم يستطع التحدّث إلى أخيه عبر هاتفه الخلوي فأخبرته بيانكا أنه عاد إلى «موناكو» ليبدأ بالتدريبات.

من الضروري أن يجد أخاه فالحديث الذي كان يجب أن يدور بينهما منذ عامين لم يعد يحتمل التأجيل دقيقة واحدة.

وقبل أن ينهي لوك مكالمته مع بيانكا، أخذ يثرثر معها لدقائق

www.elromancia.com

ويسألها عن حالها. فراحت تخبره عن أسرتها وأصدقائها، وعن كلب جيرانهم المزعج.

وعلى ذكر الإزعاج، اضطرت إلى طرد إحدى المعجبات بسيزار التي كانت من الجنون بحيث جاءت إلى الفيلا. وعندما قال لوك إن من عادة سيزار أن يستقبل النساء هناك بعد كل سباق، صرخت فيه مستنكرة كلاماً كهذا.

وعندما سألها لوك عما يجعلها مستاءة إلى هذا الحد، تظاهرت بأنها لم تفهم، ثم قالت إن لديها بعض الأعمال، لكنه لم يدعها تترك الهاتف. وعندما اتهمها بأنها تخفي سرّاً، صرخت بأن عليه أن يسأل سيزار.

- إذا كنت تتحدثين عن جنفييف، فقد عرفت الحقيقة يا بيانكا.

شهقت مدبرة المنزل، ثم انفجرت باكية قبل أن تقرّ بالحقيقة، مؤكدة كل ما ألمحت إليه أوليفيا بشكل غير مباشر.

كان لوك يستمع والألم يكاد يخنقه لاتهامه أخيه. لقد بقيت بيانكا صامتة عامين كاملين، وصدق لوك أكاذيب جنفييف فرفض أن يصغي إلى تفسير سيزار، وكانت النتيجة أن تألمت أسرتهما. وقد لاحظ لوك، بعد فوات الأوان، أن عناده انتقل إلى ابني خالتيه اللذين اضطرا إلى الوقوف بصفه.

- لوك؟

عند سماع صوت أخيه، التفت إلى حيث كان يقف على عتبة الباب.

- عصاك. لقد ذهبت.

بدت بهجة سيزار صادقة... وشعر لوك مرة أخرى بالعذاب للألم الذي سببه لأخيه.

كان سيزار لا يزال يرتدي ثوب القيادة وقد بدا شعره الأسود مشعثاً بسبب الخوذة التي يضعها.

اتهمته أوليفيا بأنه يحب أن يكون دوماً المسؤول، مثل أخته، غرير فسخر منها، لكنه لم يعد يضحك الآن.

أدرك لوك أن سيزار ينظر إلى أخيه الأكبر بشكل يكاد لا يحظى به أيّ رجل آخر، لولا وجود أوليفيا...

- ما قولك في جولة معي بالسيارة من باب التغيير... يا أخي؟

ساد صمت مطبق بينما تفحصت عينا سيزار عينيه. لا بد أن توسلاً ما ظهر في عيني لوك لأنه ابتسم فجأة إبتسامة عريضة: «لا أدري. مرّ بعض الوقت من دون أن تقود، لكنني سأغامر».

- إذا كنت قد نسيت القيادة، فمعي أعظم سائق، وهو سيساعدني.

فصاح سيزار بنوع من الإثارة لم يسمعها لوك منذ سنوات: «إتيان، أنا خارج مع أخي! لا تتوقع عودتي قريباً!».

* * *

- ... والآن، ما رأيك؟ حاولي أن تتصوريها مصقولة ناعمة.

حدقت بايبر في الأحجار الموضوعة على طاولة في المطبخ ثم رفعت بصرها إلى أوليفيا: «إنها جميلة».

- لا. ليست جميلة. أنت تقولين هذا لكي تبعثي السرور في نفسي فقط.

أمالت أختها رأسها جانباً: «نظرياً، أرى أن فكرتك عن بيعها كثقالة للورق فكرة رائعة. اسمعي، دعينا نذهب إلى محل صقل الأحجار الكريمة. سنطلب رأي شخص مختص».

أخفضت أوليفيا رأسها: «سيخبرونني أن هذه الأحجار ستبدو،

في النهاية، أشبه بالجواهر».

- أتدرين ما أفكر فيه؟.

سألتها أوليفيا قبل أن تقضم شطيرتها: «ماذا؟».

- بدأت تصبحين لاذعة كشخص يمكنني أن أسميه.

- لا أريد أن أتحدث عنه.

- لماذا أحضرت عصاه معك، إذن؟

- إنها تذكرني بمدى فظاعة حكمي ورأيي في الناس. هل أخبرتك أنني لن أذهب إلى أوروبا أبداً؟.

- بعد سنة سيتلاشى شعورك الرهيب هذا.

- ماذا سيحدث بعد سنة؟

- ذكرى مرور عام على زواج غرير وماكس. أنا واثقة من أنهما سيقيمان حفلاً كبيراً وسيتوقعان منا الحضور.

- لدي فكرة أفضل. سنقيم لها حفلة هنا. نزهة خلوية وتزلج على الماء في هدسون.

- في مركب من؟ لا يمكننا أن نطلب ذلك من فريد أو توم.

- سنستأجر مركباً.

أنهت بايبر شطيرتها: «قد تجني خلال هذه السنة ما يكفي من المال لشراء مركب خاص بنا».

ودت أوليفيا لو تثبت للوك أنها جمعت ثروتها بنفسها.

- هيا بنا نرى رجلاً لصقل الأحجار.

نهضت أوليفيا قائلة: «شكراً لقدومك معي».

وعندما شعرت بأختها تعانقها، أضافت: «أنا أشمئز منه بايبر».

- لا، هذا غير صحيح. اسمعي، لقد خانته خطيبته بشكل لا يُغتفر حين تحرّشت بأخيه. وعندما جئت أنت وأظهرت كل ذلك

الاهتمام بسيزار، فكر لوك في أنه تعرّض للخيانة مرة أخرى فحمّلك نتيجة آلامه.

- لكن لوك هو الذي عرّفنا ببعضنا البعض. ما كان له أن يفعل هذا.

- عاجلاً أم آجلاً كنت ستكتشفين أن سيزار شقيق لوك. وبعد غضبك من لوك وابني خالته، ماذا كنت ستفعلين عندما تعلمين، فيما بعد، أنه حجب عنك تلك المعلومات؟

نظرت أوليفيا إلى أختها بعينين مغرورقتين بالدموع. ما دام الجواب واضحاً، لم يعد ثمة فائدة من الكلام.

- كان لوك يحاول أن يعوّض عما فعلوه بنا. وكانت صدفة مروّعة أنه عرف أن السبب الأهم الكامن خلف قدومك إلى أوروبا هو رؤية سيزار في «السباق الكبير».

هتفت أوليفيا قبل أن تدفن وجهها بين كفيها باكية: «لكن المتفرجات على سباق السيارات لا يلحقن كلهن بأبطال السباق».

- طبعاً لا. كل ما في الأمر أنك أحببت الرجل غير المناسب. كان ماكس قلقاً عليك، فحدّث غرير عن لوك. وعندما رأى نيك أنك أوشكت على الوقوع في حبه، حدثني عن مخاوفه. لسوء الحظ جاء تحذيرهما بعد فوات الأوان.

فقالت أوليفيا وجسدها يرتجف: «يا له من إذلال».

- لا تبالغي.

- يسهل عليك قول هذا. كان أبي وأمي محقّين حين قالا إنني لا أتعلم إلّا بأصعب الطرق.

- أنا نفسي تعلمت درساً قاسياً أثناء رحلتي الأخيرة.

رفعت أوليفيا رأسها: «ماذا تعنين؟».

- عندما رأيتك تذهبين بالسيارة مع سيزار، فكرت في أن أجعل نيك يعرض عليّ الزواج فأسخر منه وأقول له إنه مخطئ. إنه من النوع الذي يدعي العلم بكل شيء، فأردت أن ألقنه درساً.

- ماذا حدث؟

- ارتكبت خطأً كبيراً.

غادرا شقتهما فجلست أوليفيا في مقعد القيادة. وسألت: «كبيراً إلى أي حد؟».

- يمكنك أن تقولي إنني اقترفت أكبر غلطة في حياتي. طلبت منه أن يريني أين اعتادوا أن يلعبوا فأخذني إلى جدول صغير. أنت تتذكرين كم كان الحرّ شديداً في ذلك اليوم، فاقترحت عليه أن نأخذ غفوة صغيرة معاً تحت الأشجار. وعندما رفعت ذراعيّ لأساعده على خلع سترته السوداء الضيقة، أمسك بيدي ودفعني بعيداً عنه.

سألتها أوليفيا غير مصدقة أنهما تتحدثان عن نيك نفسه: «لم يؤذك، أليس كذلك»؟

عضت بايبر شفتها: «لا، بل فعل ما هو أسوأ بكثير. قال لي إنه يلف عصابة سوداء على ذراعه لسبب ما لكنه سيعذرني هذه المرة لأنني لا أعرف كيف أتصرف في مجتمع مهذب».

- لا بد أنك تمزحين.

- لا. أنا أيضاً ظننته يمزح، حتى أوضح لي أن أسرته وأسرة خطيبته في حالة حداد رسمي حتى شهر تموز القادم.

شعرت أوليفيا بالألم من أجل أختها: «كيف يجرؤ على مخاطبتك بهذا الشكل بعد الطريقة التي كان يعبث فيها معك على المركب؟ لم يكن يلفّ ذراعه بعصابة سوداء حينذاك».

- كان ذلك مختلفاً. كانوا يحاولون الإيقاع بنا لظنهم أننا سارقات المجوهرات.

- يا للنفاق!

- ابتسمت وأخبرته أنه خسر لتوّه فرصة سيعيش العمر نادماً عليها، ثم عدت إلى الفيلا وطلبت سيارة تقلني إلى محطة القطار. وتوجهت إلى جنوى.

كانت دموع أوليفيا قد جفّت الآن: «أنا آسفة لأنني لم أكن موجودة لأناصرك. كنت مشغولة جداً بمحاولة إثارة غيرة لوك، مشغولة عن أي شخص سواي».

- كنا مغفلتين. لعلها ردة فعل لفقدنا غرير.

- أنا واثقة من أنك على حق.

لمحت أوليفيا متجراً للأحجار الصخرية عند الزاوية فأوقفت السيارة. وبعد عشرين دقيقة عادت إلى السيارة حاملة كيساً ممتلئاً وتبعتها بايبر حاملة رزماً تحوي دهاناً للصقل وموادّاً للصق.

عندما عادتا إلى شقتهما، رتبت أوليفيا معداتها في المطبخ ثم شرعت تعمل. وكانت بايبر تأتي إليها بين الحين والآخر لترى كيف يتقدم العمل.

- لن أعلم ما لديّ هنا حتى نذهب إلى النوم.

في الحادية عشرة جاءت تتفحص أول مجموعة لها، وإذا بها ترى الأحجار تتلاشى لتصبح مسحوقاً ناعماً.

وعندما خطر لها أن الأمور لا يمكن أن تصبح أسوأ مما هي عليه الآن، رن جرس الهاتف. تفحصت بايبر الشاشة، وتوترت شفتاها: «الاتصال من خارج البلاد».

- قد تكون غرير.

- لا، فقد تحدثنا إليها صباح اليوم. أظنه نيك ولا شك أنه يريد أن يطمئن إلى وصولك بخير.

- سيكون هذا عذره، لكن ما يريده حقاً هو أن يسمع صوتك.

وتناولت أوليفيا السماعة مضيفة: «سأرد على الاتصال بسرور بالغ».

وبعد أن انتظرت قليلاً، رفعت السماعة وقالت غاضبة: «أتريد الآنسات كينغستون؟ أترك اسمك ورقم هاتفك. وإذا كنت محظوظاً سنجيبك. لكن في العام القادم ربما».

وعندما وضعت السماعة انفجرتا بالضحك بشكل هستيري. وكانت لا تزالان تقهقهان بصوت خافت وهما تصعدان إلى سريريهما.

وفجأة أخذت دموع أوليفيا تنهمر لتبلل وسادتها.

* * *

- لقد أصبحت في بلدها.

هذا ما خطر للوك وهو يعيد هاتفه الخلوي إلى جيبه. شعر بالارتياح لوصول اوليفيا بسلام إلى نيويورك، لكن خوفه من أن يكون قد سبّب لها أذى لن تغفره له أبداً تصاعد. كما أن علمه بأنها ليست على المركب «غابيانو» ملأ نفسه بفراغ موحش.

كان هو ونيك في مياه «كوستا ديل سول»، وقد أشرقت الشمس منذ ساعات.

الخطة التي ناقشها مع نيك أثناء الليل يجب أن تتحقق، وإلا لن تحمل حياته أي معنى.

عندما وصلا إلى مرسى نيك الخاص، كان بعض العمال في استقبالهم.

قال لهم نيك: «شكراً لحضوركم بسرعة».

- أنت قلت إنك على عجلة من أمرك يا «سنيور دي باسترانا»، ما الذي تريدنا أن نفعله؟

- اشترى لوك هذا المركب لتوّه ويريد أن يدهنه باللونين الأزرق والأبيض حتى يبدو جديداً. طلبنا أشرعة جديدة لكي تنسجم مع الاسم الجديد الذي سيضعه على المركب. إنه المسؤول وسيعطيكم التعليمات فيما أصعد أنا إلى الفيلا للقيام ببعض الاعمال. سأتحدث إليكم لاحقاً.

وخلال نصف ساعة، كان لوك قد أعطاهم الإرشادات اللازمة ووعدوه بأن يجمعوا طاقماً كاملاً من الملاحين لكي ينهوا العمل بأسرع ما يمكن.

بما أن الوقت مهم، لم يستطع لوك أن يطلب أكثر. وعندما لحق بنيك في مكتبه، سأله: «هل من أمل في اقتفاء أثر السنيور «توزيتي»؟».

- قال سكرتيره إنه جاء لتوّه إلى مكتبه، وسينضم إلينا في أي لحظة.

وضع لوك سماعة الهاتف على أذنه وانتظر.

مرّت دقيقة أخرى ثم سمعا صوتاً: «السنيور توزيتي هنا. صباح الخير يا سادة».

- صباح الخير.

- يشرفني جداً أن أتحدث إلى أفراد أسرة بارما بوربون. أي خدمة أسديها لكم؟

- النساء الأميركيات اللاتي ستنشر تقاويمهن في منطقة «بارما»، تبيّن أنهن من أقاربنا.

- ليس لديّ فكرة. لم يتحدثن عن ذلك قط.

- هذا لا يدهشنا يا سنيور. إنهن واثقات من أنفسهن ومن عملهن. أنا وابن خالتي نؤمن بعملهن، أيضاً. وهذا هو سبب اتصالنا بك. نريد أن نساندهن ولهذا السبب نريد أن نقدم لك عرضاً. نريد أن نرى مدى انتشار تقاويمهن في بلاد أخرى غير إيطاليا. إذا كان يهمك أن تتولى عملية التوزيع كلها، فسيستفيد الكل من هذا.

تناهت إليهما ضحكة سرور ودهشة عبر الخط: «هذا يهمني جداً يا سنيور. أي بلاد تفكر فيها يا سنيور؟».

- موناكو، فرنسا، إسبانيا، كبداية.

- هل طبعت تقاويمهن في فرنسا وإسبانيا؟

- سنناقش المسألة. أيمكنك أن تقابلنا لتناول الغداء اليوم في مطعم «سبلينديدو» عند الساعة الثانية؟

- طبعاً.

- من الضروري أن تحضر العرض الذي ستقدّمه لهن بحيث يرونه حقيقياً مئة بالمئة.

- سأبذل جهدي.

فقال لوك بلهجة عاطفية: «المال لا يهمهن حتى لو وعدتهن بالقمر. أصبحت فيوليتا ولويجيو عزيزين على قلوبهن، وعليك أن تقنعهن بأن الكلمات والرسوم تحاكي روحك».

- لا أفهم. كلامك يجعلني أخشى أن يرفضن.

- إنهن فنانات. ورغم رغبتهن في النجاح إلّا أنّ عليهن أن يدركن أنك مؤمن بعملهن. إذا أمكنك أن تفعل ذلك، فسيوافقن على الاجتماع بك في أي مكان تريده.

- أتعني أنهن لن يأتين إلى جنوى؟

- سنخبرك المزيد بعد الظهر. لكن لدينا شرطاً قبل أن تتطور الأمور.

- وما هو هذا الشرط؟

- على قريباتنا ألّا يعلمن أبداً باتصالنا بك. وعليك ألّا تذكر أسماءنا أثناء الحديث وإلّا سينهار المشروع بأكمله، وستخسر أنت العمل. مفهوم؟

وبعد صمت طويل، أجاب الرجل: «مفهوم».

* * *

انتقلت بايبر إلى صفحة جديدة من دفتر الرسم، ثم شرعت تخطط: «متى يحين موعد اجتماعنا بالسنيور «توزيتي» في الفندق؟».

كانت أوليفيا تتأمل السقف الخشبي الرائع لقصر «الحمراء» المشهور عالمياً فأجابت: «ما زال أمامنا حوالى نصف ساعة. إنها السابعة».

- ثلاثة أيام في إسبانيا ليست كافية للظهور بشكل مناسب كما أن يدي متشنجة.

- قال إنه لا يتوقع عملاً جاهزاً. كل ما يريده هو عينات ليريها للرجل الذي يريد أن يطبع تقاويمنا في إسبانيا. إذا وجدها بمثل روعة وجمال تلك التي رسمتها «موناكو» و«بارما»، فسنجد سوقاً جديدة لتصريف أعمالنا.

- أتمنى لو أستطيع أن أجعلها أكثر بدانة، لكن ليس لدي وقت.

اقتربت أوليفيا من بايبر تنظر من فوق كتفها: «أرى أن هذه

www.elromancia.com

المجموعة هي أفضل أعمالك».

- أنت تقولين هذا في كل مرة أرسم فيها.

- هذا لأنك نابغة.

- لا... بل لأنني لا أعتمد على الصور الفوتوغرافية.

- لويجيو وفيوليتا هما من نتاج مخيلتك، وقد ابتدعت مظهراً جديداً لكل منهما.

- أحقاً فعلت هذا؟

- نعم. أحدهم أشبه بفارس يجر عباءته في الرواق أمام فيوليتا. لديه كبرياء وسلطة، ما يسرّع خفقات قلبي.

- أتظنين ذلك؟

- تماماً. فيوليتا مختلفة أيضاً. تبدو ابتسامتها قاسية أثناء رقصهما الفلامنكو في هذه الملابس الرائعة. أعشق طريقته في إمالة قبعته. صدقيني يا بايبر، لقد ألهمك ذلك الكهف الذي زرناه الليلة الماضية. يمكنني أن أسمع وقع خطواتهما على الأرض الخشبية. كما أنني أحببت ذلك الرسم الذي يمثله واقفاً على السور وهو يحدق في فيوليتا التي أطلت من إحدى النوافذ. يمكنك أن تشعري بذلك الحزن الذي يذيب القلب، وكأن الحب طعنه في الصميم.

رغم أن لويجيو هو الذكر، أدركت أوليفيا أن أختها تتعاطف معه، وهي أيضاً...

- سيتملك أمي وأبي الزهو عندما يعلمان أن رسوماتك ستشتهر في أوروبا كلها.

فتمتمت بايبر: «نحن لا نعرف هذا بعد، علينا ألّا نتسرّع».

- ما كان السنيور توزيتي ليدفع لنا مقدماً لولا اقتناعه بأن التعامل معنا سيدر عليه الربح. عندما يرى ما فعلته خلال ثلاثة أيام

فقط، سيرسلك إلى كل مكان... فرنسا... سويسرا...

رفعت بايبر رأسها: «ماذا تعنين؟ هذه الفكرة من بنات أفكار غرير، لو لم تقومي أنت بالتسويق في الساحل الشرقي، لما وصلنا إلى هنا. نحن شريكات في إنتاج هذا العمل!».

- فلنشكر الله لأن غرير تحلّت ببعد النظر واقترحت أن نسوّق فكرتنا عند وصولنا إلى جنوى.

- لم ننجح أنا وأنت في الحصول على فتى من الريفييرا، ولكن سنؤسس حياة جيدة لنا مع بلوغنا الثلاثين.

فضحكت أوليفيا بحزن: «إنها سخرية القدر، أليس كذلك؟ فغرير لم تشأ أن تتزوج كيلا يقف ذلك عائقاً أمام تكوين ثروة».

- لكن، بعد عثورها على زوج رائع، لم تعد بحاجة إلى تحصيل معيشتها بنفسها.

- كما أنّ فكرتي عن «ثقالات» الورق ذهبت في المجاري.

- لم تكوني تعلمين أن تلك الأحجار رماد بركاني.

- كان لوك يعرف هذا.

- انسي أمر لوك. إذا ذهبنا إلى فرنسا، فسنذهب إلى مقلع الحجارة الذي كتب عنه فيكتور هيغو في روايته «البؤساء».

- شكراً يا بايبر، لكنني واثقة من أن هذا المكان غير موجود. أظن أنه من الأفضل أن نتوجه إلى الفندق.

رسمت بايبر وردة طويلة الجذع يخفيها لويجيو عن فيوليتا خلف جناحه، فهو يريد أن يقدمها لها لاحقاً. ثم أغلقت الدفتر ووقفت: «هيا بنا».

قالت لها أوليفيا توصيها: «لا تكوني متوترة».

- أنا لست متوترة.

وما لبثتا أن دخلتا فندقاً فخماً للغاية، فأخذتا تنظران من حولهما بحثاً عن السنيور «توزيتي».

- أنا لا أراه.

- ولا أنا.

- لا بد أنه ترك خبراً ما عند مكتب الاستعلامات، فلنسأل.

أجاب الرجل: «نعم. لقد نادينا اسميكما. تعرّض السنيور «توزيتي» لحادث بسيط ولن يتمكّن من مقابلتكما قبل الغد صباحاً في فندقنا في «مالاغا» ».

نظرت أوليفيا إلى أختها. لم تكن «مالاغا» تبعد كثيراً عن «فيلا باسترانا» في «ماربيللا» ما أيقظ لدى أوليفيا ذكريات حلوة مرة عن رحلتها المشؤومة مع لوك.

- إنه آسف جداً لهذا وقد رتب الأمر بحيث تذهبان إلى هناك هذا المساء بسيارة الليموزين، ويأمل أن توافقا. هل أرسل شخصاً ليحضر حقائبكما؟

طال الصمت. وأخيراً قالت بايير: «نعم».

وما هي إلّا دقائق حتى ساعدهما سائق خاص في ملابس رسمية على الصعود إلى سيارة ليموزين سوداء هي أكثر السيارات اللاتي رأتاها أناقة وفخامة.

كان العازل بين السائق والركاب يضمن لهما عزلة تامة.

سألت بايير أختها: «هل رأيت قط مثل هذه السيارة الأنيقة؟».

- لا، لا بد أنها إسبانية الطراز.

- هذه السيارات تكلف ربما حوالى نصف مليون دولار.

- وربما أكثر.

- لقد أكرمنا السنيور «توزيتي» كثيراً. لا شك أنه يريد عملنا

فعلاً، إلى حد يجعلك تتساءلين عن السبب.

شعرت أوليفيا ببدنها يقشعّر: «أوافقك الرأي. لا تخطئي فهمي فعملك أسطوري الجمال، ولكن..».

- ولكن ليس إلى هذا الحد...

- أتذكرين حين ركبنا المركب «بكسيوني» أول مرة؟.

- أنت تقرأين أفكاري. أحست غرير بأن ثمة خطأ ولكننا لم نصدقها في البداية. وعندما أقنعتنا أخيراً بأننا في مشكلة كان الأوان قد فات.

- اسمعي، لا أرى أي مقابض لأبواب السيارة أو أزرار للنوافذ.

تملك أوليفيا الخوف، وارتجف جسدها وحاولت أن تنزل الحاجز القائم بينهما وبين السائق لكن الحاجز لم يتحرك.

أخذت تطرق عليه بكفها وانضمت إليها بايير وصرخت: «أوقف السيارة! نريد أن نخرج!».

وفجأة، أضاء مصباح داخلي بينما أكملت السيارة مسيرها. وتعالت موسيقى كلاسيكية هادئة، وارتفع لوح على أحد جوانب السيارة كاشفاً عن زجاجة عصير بارد وكأسين: «مساء الخير يا سيداتي. اسمي كوغ».

١٠ - سفينة الفضاء

كوغ؟

دارت الدنيا بأوليفيا بينما صرخت بايبر برعب بالغ: «يا إلهي... لقد اختطفونا إلى سفينة فضاء غريبة».

قالت أوليفيا ساخرة بعد أن تمالكت نفسها: «هذا غير صحيح».

لكن قلبها راح ينبض بالإثارة، وجسمها يرتجف: «هل سمعت قط شخصاً من الفضاء يتحدث بلكنة فرنسية؟ لعله عالم مجنون، لكنه ليس غريباً... هذا الرجل المجنون بالذات استعاد لتوه القدرة على القيادة فأصيب بنوبة هياج عنيفة».

وتغيرت ملامح بايبر: «هل قلت إن إسمه كوغ؟ إلى ماذا يرمز هذا؟».

- إنه نتاج مخيلة مبدع مشوّش العقل تدرب على القيام بأعمال ضرورية لكنها ثانوية.

- أتعنين مثل أن يسكب لنا كأس عصير؟

ونطق كوغ مجدداً: «كل ما عليك أن تفعليه هو أن تطلبي».

وسكب العصير في الكأسين من دون إهراق قطرة واحدة ثم وضعت الزجاجة في الدلو مجدداً.

تملك أوليفيا السرور فتناولت الكأسين ثم قدمت إحداهما لشقيقتها.

- كوغ، أختي جائعة لأن السنيور «توزيتي» لم يأت للعشاء. بالمناسبة، كم دفع صانعك المخبول لكي يغرينا بالقدوم من وطننا؟

- أنا لا أعرف شيئاً عن أعمال سيدي الخاصة. ماذا تطلب شقيقتك؟

- ماذا لديك؟

ارتفع اللوح الخشبي من الجانب الآخر للسيارة كاشفاً عن طبق فيه بعض اللفائف مع فوط فسألت: «ماذا تحتوي هذه؟».

- إنها شطائر إسبانية محشوة بالذرة.

قضمت أوليفيا منها قضمة: «إنها لذيذة يا كوغ وهكذا، إلى أين تأخذنا»؟

- إلى السفينة الام.

- لماذا؟

- لنتحدث.

انتفض قلبها: «فات الأوان على ذلك إذ حطم سيدك العالم الذي أعيش فيه».

- ثمة عوالم أخرى.

- أنا أتحدث عن عالم البشر. الوحيد الذي أريده. أنت تعرف المشاعر. القلوب... الروح... اللحم... الدم... الدموع... هذه الأمور كلها.

- لقد أخطأ سيدي في الحكم.

- ظننت أنّ السادة في عالمكم لا يخطئون. هذا يثبت أن كل ما كنا نؤمن به ليس إلا أسطورة.

- إنه يريد فرصة أخرى لكي يستعيد إيمانك به.

- الإيمان؟ هذه الكلمة ليست موجودة في قاموس ذلك الرجل

المجنون. إنه مجرد رجل آلي مثلك.

- فسّري لي هذا من فضلك.

- أنظر جيداً إلى سيدك فتجد الجواب.

- أنا أطيعه فقط. وقد أمرني بأن أحضرك إليه.

- وأنا لست ذاهبة.

- بل يجب أن آخذك إليه.

- وماذا سيحدث إذا لم تأخذني إليه؟

- سينتحر وسيكون في ذلك نهاية «كوغ».

- لا تقلق لذلك، أنت لست مهماً.

- قال إنك ستكونين صعبة المراس.

- حسناً، إنه لا يعرف الكثير عن مقدار صعوبة طبعي.

فهمست بايبر: «أذعني. ألا ترين أنه يموت؟».

شعرت بالسيارة تنحدر بهم وتنعطف مرات عدة لتتوقف فجأة.

- وصلنا إلى السفينة.

كان قلب أوليفيا على وشك أن يثب من موضعه.

- أخرجا من السيارة رجاءً.

وانفتح الباب من جانبها كاشفاً عن شاطئ رائع. ارتجفت وهي تدرك أن لوك في انتظارها، ونزلت من السيارة متوقعة منه أن يأخذها بين ذراعيه. ستقاوم في البداية، ثم تنهار.

لكن، ولدهشتها، لم تجد أحداً. كل ما رأته هو رصيف خاص ممتد في البحر وقارب شراعي.

رباه... هل قادتهما السيارة من دون سائق؟ وارتجفت ساقاها.

تمتمت: «بايبر؟».

لكنها لم تجد جواباً فصرخت وهي تدور على عقبيها: «بايبر؟».

لا أحد... بدا وكأن أختها اختفت عن وجه الأرض. كل ما استطاعت أن تراه هو نبات كثيف ينتشر هنا وهناك، وأشجار ورود رائعة من كافة الانواع. وبدأت أعصابها تتوتر: «لوك؟».

رفعت صوتها: «لوك؟».

- أنا هنا.

تحوّل صوت «كوغ» إلى صوت حقيقي.

عادت عيناها إلى الرصيف الممتد في البحر. كان يقف هناك... طويلاً صلباً كالصخر. لن يصدق أحد أنه أمضى شهوراً عديدة يعتمد في سيره على عصا.

- اصعدي إلى المركب «أوليفيه».

أرغمها صوته الحازم المليء بالرجولة على السير نحو الرصيف الممتد في الماء.

توقفت على بعد أقدام منه. وقف هناك بقامته الرائعة المليئة بالرجولة فبدا جذاباً للغاية. وحوّلت عنه عينيها الجائعتين وقالت متلعثمة: «أنا... أراه يشبه المركب «غابيانو» نوعاً ما».

- إنه فعلاً المركب «غابيانو». لكن عندما أبحرت أنت على متنه، جعلته مركبك. وهكذا اشتريته من «جيوفاني» لأمنحك إياه.

احتبست أنفاسها في حلقها: «أنا أعشق اللون الأزرق».

- إنه يماثل لون عينيك.

- لوك... من جدّدها فعل هذا بشكل رائع.

- شكراً.

صرخت تسأله: «هل هو أنت؟».

هزّ كتفيه: «حظيت ببعض المساعدة. إنه عربون سلام أقدمه لك

www.elromancia.com

كخطوة أولى في مفاوضاتنا».

- لأي غرض؟

- لكي نرى إن كنا نستطيع أن نبدأ بداية جديدة.

اخترق الألم قلبها مرة أخرى: «هذا مستحيل. ويمكنني أن أعطيك لائحة بكل كلمة قاسية وجهتها إليّ».

قال متوسلاً: «إياك أن تفعلي هذا أوليفيا».

ولم تصدق حين حدّقت في عينيه ورأت الألم والتوسل.

سألته وقد ارتجف صوتها: «أن أفعل ماذا؟ هل لديك فكرة عما فعله بي تشبيهك لي بحبة فاكهة قضم منها الجميع؟ حبة فاكهة متعفنة حتى اللب؟».

رأته يبتلع ريقه: «أنت تعلمين أنني لم أكن أعني هذه الكلمات يا حبيبتي. عليك أن تصغي إليّ».

كان التوسل في صوته بمثابة كشف لأوليفيا فيما تابع قائلاً: «دار بيني وبين سيزار حديث طويل».

فاندفعت تقول من دون تفكير، غير قادرة على السكوت بعد كل ذلك الألم: «إنه يستحق أن يتحرر من ذلك السجن الذي وضعته فيه عندما لم تدعه يخبرك بما حصل. إذا كان هناك من يعرف ذلك الشعور فهو أنا».

- ثمة أنواع مختلفة من السجون، أحب أن أخبرك عن السجن الذي كنت أنا فيه أثناء إبحارنا بالمركب «أوليفييه». هذه الرحلة ستكون الأولى للمركب بعد تغيير لونه واسمه.

وتركته يساعدها على الصعود إلى المركب قبل أن يقفز إليه بخفة ويفك الحبال.

ارتدت سترة النجاة التي أخذتها منه ثم شغل المحرك ليندفع

بهما المركب إلى عرض البحر.

سألها بعد أن أوقف المحرك: «أتريدين أن تكوني المضيفة؟».

توجهت إلى السارية وأرخت الأشرعة فامتلأت بهواء الليل. وتأوهت برقة وهي ترى رسم شجرة الزيتون على الشراع الأبيض ونادته برقة: «لوك..».

فجاء ليقف بجانبها. وقادا الرحلة معاً.

- أثناء وجودي في حلقة دراسية، تركت جنفييف رسالة على المجيب الآلي تقول فيها إنها في المستشفى وتريدني أن أحضر بسرعة إلى الوطن. لم أستطع أن أتصور ما حدث فركبت الطائرة إلى نيس ثم ذهبت مباشرة إلى شقتها وإذا بي أعلم أنها أجهضت.

تأوهت أوليفيا بينما تابع هو: «شكّل هذا صدمة قوية لي لأنني لم أكن أعلم أنها حامل. واعترفت بأن الحبل ليس مني، كما قالت إنها كانت على علاقة سرية بسيزار قبل خطوبتنا وقد عرفت أنه طفله فذهبت لتطلعه على الحقيقة قبل أن تفسح خطوبتها معي. وحسب روايتها، قال سيزار إن المشكلة مشكلتها هي ورفضه هذا تسبب في إجهاضها».

صرخت اوليفيا: «وأنت صدقتها أكثر من أخيك الذي عرفته طوال حياتك؟».

- ليس قبل أن تستدعيني المستشفى إذ يبدو أنها فقدت الكثير من الدم. وعندما سألت الطبيب عن عمر الجنين، أخبرني أنه عشرة أسابيع ما يعني أنه من غير الممكن أن يكون طفلي. وهكذا تركتها من دون أن أنظر إلى الخلف. لكنني بقيت عاجزاً عن أن أصدق أنه طفل سيزار. لو كان مهتماً بها لعرفت ذلك قبل أن تأتي إلى مكتبي لتطلب عملاً. ولأنني كنت واثقاً من أنها كذبت عليّ، أرسلت

www.elromancia.com

صديقاً إلى المرآب ليحاول اكتشاف الحقيقة. الميكانيكيون يحبون الثرثرة. وقد قال له إتيان إن سيزار وجنفييف كانا على علاقة.

بدت الكآبة في عيني لوك وهو يردف: «وأصبح ذلك كابوساً لم أستيقظ منه إلا بعد أن أرغمتني أنت على أن أعيد التفكير في الأمر يا أوليفيا».

كانت تسمع تنفسه السريع، وتشعر به مع النسيم على شفتيها.

- لو لم تستفزيني لما ذهبت أبداً إلى أخي لأكتشف الحقيقة الكاملة. وقد سمعت شيئاً منها من بيانكا ثم كرر لي بالضبط ما أخبرك به، وأكثر من ذلك بكثير.

- اكثر من ذلك بكثير؟

اشتدت يداه حول كتفيها: «نعم. عرفت منه أنه ذكر مسألة خاتم الخطبة ليختبر مدى حبك لي».

- نعم يا حبيبي. إنه يحبك إلى هذا الحد. إنه أخ محيّر.

- هذا صحيح. بعد أن اصطلحت الأمور بيننا، ذهبنا لنواجه إتيان.

سألته بصوت جريح: «الميكانيكي الذي ظننتني ألاحقه؟».

- لم أصدق ذلك حقاً يا أوليفيا. لكنني كنت أتألم بسببك ما جعلني أتصرّف بجنون.

مسحت عينيها: «هل اعترف إتيان بأنه كذب حين ادعى أن سيزار كان على علاقة بخطيبتك؟».

تصلب جسم لوك: «اعترف بأكثر من ذلك بكثير. كانت جنفييف تسعى خلف أيّ رجل ثري، فأقامت علاقة مع إتيان للحصول على معلومات عن أسرة «فالكون» قبل أن تدخل حياتنا. وكانت خطة جنفييف هي أن تغريني أنا لأنها ظنتني الأكثر ثراء.

لكن خططها فشلت حين اكتشفت أنها حامل من إتيان».

- ماذا؟

- عندما أخبرت إتيان أنها حامل وأنها خائفة من أن اكتشف خديعتها طلب منها التخلص من الجنين، لكنها رفضت وقررت أن تتقرب من سيزار، راجية أن يعاشرها فيضطر لأن يتزوجها في النهاية.

- هذا فظيع! بدأت أفهم الآن سبب حقدك. كيف يمكن لامرأة أن تفعل شيئاً كهذا؟

لمعت عيناه: «هذا يحدث، لكن، وكما تعلمين، طردها سيزار وقال لها إنها إذا لم تخبرني بأنها حاولت التقرب منه، فسيخبرني بنفسه. وعندما لم تنجح خطتها، عادت إلى إتيان وحاولت ابتزازه مهددة إياه بأنها ستخبر زوجته. وحدثت تعقيدات لينتهي بها الأمر في المستشفى».

- إنها قصة مخيفة. أرجو أن يكونا قد عانيا الأمرّين لما فعلاه بك وبسيزار.

غطى يديها بيديه وقال: «وطبعاً، طرد سيزار إتيان لكن أخي هو أحسن رجل عرفته. لم يشأ أن تعاني أسرة إتيان، فمنحه شهادة تزكية جيدة ليجد عملاً آخر».

- لهذا أنا أحب سيزار.

- وأنا كذلك. في الواقع، ازداد حبنا أنا وأخي لبعضنا بعضاً، وكل ذلك بسببك. لقد أحببتك منذ البداية... نما ذلك الحب بينما أنت تكافحين من أجل حبنا. أنت تحبينني حقاً. أنا أعلم أنك تحبينني، يا حياتي.

- إلى حد يكاد يقتلني. عندما عدت مع نيك إلى المركب

www.elromancia.com

ووجدت أنك رحلت إلى الأبد، شعرت بأنني سأموت.

- كان عليّ أن أصلح الماضي كي أواجه المستقبل معك.

- أعرف هذا الآن.

وتعلقا ببعضهما البعض بعنف، مستمتعين بوجودهما معاً بصورة دائمة، من دون نزاع أو سوء تفاهم.

بعد ذلك اليوم الفظيع في «كان» عندما ظنت أن عالمها انهار، لم يخطر لها قط أن لوك ذهب للبحث عن الحقيقة.

كانت لا تزال تجد صعوبة في تصديق أن الحرب انتهت بينهما، وأنها تستمتع الآن بالنصر وبأن لوك يساعدها بلهفة متملكة.

صرخت ضاحكة عندما أخذ المركب يميل، مرسلاً عليهما رذاذاً مالحاً.

ضمها لوك إليه بقوة قائلاً: «حان الوقت لإعادة المركب إلى المرسى».

- لكننا جئنا إلى هنا لنوّنا؟

- ثمة أمر آخر علينا أن نقوم به أولاً، ثم نصعد على متن المركب وندع الهواء يدفعنا إلى حيث يشاء.

- هذا رائع، لكن ما الأمر الأكثر أهمية من أن نبقى معاً حالياً؟

- أن نتزوج.

فقالت من دون تفكير: «أتعني الآن؟ هذه الليلة؟».

إبتسم ابتسامته التي تعشقها ما جعل قلبها يخفق: «هل أفترض أن هذا يعني «نعم»؟».

ورغم أنه بدا سعيداً إلّا أنها لاحظت أثراً من القلق في هذا السؤال. كان حبيبها لوك يعاني من مشكلة، وهي اعتقاده بأن آلامهما أكبر من أن يستطيعا التخلص منها.

- نعم!

ولفّت ذراعيها حول رقبته مضيفة: «نعم، نعم، نعم. أريد أن أتزوجك في هذه اللحظة، لكننا بحاجة إلى كنيسة وكاهن. كان والدنا ووالدتنا مصرّين للغاية على ذلك».

- وأنا مصرّ على هذا أيضاً. كل ما علينا أن نفعله هو أن نستقل السيارة إلى منزل أسرة «باسترانا» فلديهم كنيسة خاصة ينتظر فيها الأب توريس.

- كم تبعد المسافة بالسيارة؟

- حوالى الدقيقة.

- دقيقة؟ هذا لا يمنحني وقتاً كافياً لأصلح مظهري. حبيبي... أنا أحب أمك حقاً وأعرف أنه سيؤلمها ألّا تحضر زواجك هي وأبوك.

- سيتجاوزان هذه المحنة.

عضت شفتها: «هنا ثمة مشكلة أخرى».

فسألها وهو يقبل رأس أنفها: «وما هي؟».

- ربما سيشعر سيزار بالإهمال إذا لم يحضر زواج أخيه.

- سيتجاوز هو أيضاً المحنة.

- لوك... أنا... أنا خائفة من أن غرير وبايبر لن تغفرا لي أبداً إذا ما حرمتهما هذه الفرصة.

التهبت عيناه: «هذا هو إذن سبب ترددك؟ كان ماكس على حق».

- في المناسبات الهامة فقط. الأعراس، الولادة، و...

أسكتها بعناق حار...

وأخيراً سألها: «أتحبينني؟».

- أنت تعلم أنني أحبك!

- ثقي بي إذن.

الثقة..؟ شيء ما في نبرته أنبأها بأنه سيحقق آمالها كلها. فلوك دي فالكون من ذلك النوع من الرجال.

- سأثق بك إذا أجبتني بصدق.

- تفضلي يا عروسي.

- هل كنت أنت من يقود أثناء رحلتنا من «غرناطة».

أرجع رأسه إلى الخلف وانفجر ضاحكاً. وكان هذا أجمل صوت في العالم.

- هل ضحكك هذا يعني «نعم»؟

- عندما أصبح زوجك، سأخبرك بكل ما تريدين أن تعرفيه.

وأدار المركب واتجها نحو المرسى، متطلعين إلى مستقبلهما بلهفة وشوق.

www.elromancia.com